تيسير المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

بـ توجيه أبواب هداية المرتاب

مقدم من

أ / محمد بـــــدرى الضابط

حاصل على ليسانس القرآن وعلومه وتمهيدي ماجستير

قسم الشريعة الإسلامية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الخامس الجزء الثاني ٢٠٢٠م

تيسير المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم بـ توجيه أبواب هداية المرتاب

محمد بـدرى الضابط
قسم الشريعة الإسلامية ، المعهد العالي للدراسات العليا ، إسكندرية ، مصر
البريد الإلكتروني : mohamedbadryeldabet@gmail.com

ملخص البحث :

يهدف هذا العمل إلى التطبيق العملى لقواعد توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم على المواضع التى ذكرها الإمام علم الدين السخاوى فى منظومته (هداية المرتاب). يقوم الباحث بتحديد الآيات المتشابهة حسب الترتيب الأبجدى ثم تحديد مواضع الاختلاف بينها ، ثم توجيه ذلك مع ذكر نوع التوجيه مع شرح مبسط لما يحتاجه من قواعد ، بالإضافة إلى التعليق على ترتيب المواضع فى أبوابها وقد قدم لهذا بتعريف للإمام علم الدين السخاوى ومنظومته .

الكلمات المفتاحية : علم الدين ، السخاوى ، منظومة ، هداية ، المرتاب ، التوجيه ، المتشابه ، اللفظى

Facilitate Verbal Similarities In The Holy Qur'an By Directing The Chapters To Guide The Doubtful

Mohamed Badry the officer
Department of Islamic Law, Higher Institute of Graduate Studies. Alexandria Egypt
E-mail: mohamedbadryeldabet@gmail.com

Abstract:

This work aims to practical application of the rules of directing similar verbal in the Holy Quran to the places mentioned by Imam Al-Din Al-Sakhawi in his system (guidance guidance). The researcher identifies similar verses according to the alphabetical order, then identifies the places of difference between them, then directs that by mentioning the type of guidance with a simplified explanation of what he needs from the rules, in addition to commenting on the arrangement of the positions in its sections.

Keywords: science of religion , generosity , system , guidance , doubtful , guidance , similar , verbal

المقـــدمة

بســـم الله الرحمن الرحـيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ

وبعد:

فإن القرآن الكريم غنى بالأسرار واللطائف والإشارات التى تمتع القارئ عند إدراك مقاصدها وأسبابها ومن أهم هذه الإشارات تلك التى تتعلق بالمتشابهات اللفظية فى القرآن الكريم إلا أنها تخفى على الكثير ويصعب إدراك الوجه المقصود منها بالرغم من ارتباطها الوثيق بإظهار وجه من وجوه الإعجاز فى كتاب الله ، ثم كونها سببا فى تثبيته فى قلوب حافظيه ؛ لذا فإن خير طريق لتثبيت المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم هو توجيه تلك المواضع لمعرفة الحكمة من وضع اللفظ القرآنى موضعه فيكون ذلك العمل إعانة للحفاظ بإظهار شيء من الإعجاز.

وبالرغم من ندرة الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع مع قدم زمن تأليفها وتكرار مواضع المتشابه اللفظى فيها، فإن المواضع التى اختارها الإمام علم الدين السخاوى فى منظومته " هداية المرتاب " من أدق المواضع لذلك تم اختيار موضوع هذا الكتاب ليكون توجيها لأبواب هداية المرتاب.

أهمية الموضـوع:

أولا: ارتباطه بكتاب الله – عز وجل – وارتباطه بموضوع من أدق الموضوعات وأعزها.

ثانيا :عدم وجود مؤلَف يشرح توجيه المتشابهات القرآنية الواردة فى المنظومة السخاوية ، ويسير وفق الترتيب الأبجدى لتلك المتشابهات بالرغم من شهرة القصيدة.

ثالثا : ندرة الكتب التى تتناول هذا الجانب الهام من جوانب إعجاز القرآن الكريم.

رابعا : ارتباط هذا الموضوع الوثيق بكل علوم اللغة العربية تقريبا واحتياج الباحث فيه للإلمام بها وإجادتها.

أما سبب اختيار المنظومة السخاوية فيرجع إلى :

أولا : أن مؤلِفها هو أول من ألف نظما فى المتشابهات اللفظية فى القرآن الكريم.

ثانيا : الترتيب الأبجدى لأبوابها وشهرة القصيدة فى مختلف بلدان العالم الإسلامى.

ثالثا : مؤلِفها علم من أعلام القرآن الكريم والقراءات فهو تلميذ الشاطبى وسبب شهرة الشاطبية ،كما قضى عمره بين مصر والشام معلما للقرآن الكريم ، فاختياره للمتشابهات اختيار دقيق.

رابعا : إعانة القارئ لكتاب الله وحافظه على فهم وجه الحكمة فى تلك المتشابهات وبالتالى ضبط الحفظ.

خامسا: التطبيق العملى لقواعد توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم على المواضع التى ذكرها الإمام علم الدين السخاوى فى منظومته.

سادسا : إشارته فى المنظومة إلى مواضع اختلاف القراءات فيكون ذلك العمل سببا فى تثبيت بعض القراءات.

منهج البحـــــث:

يقوم على تحديد الآيات المتشابهة حسب الترتيب الأبجدى ثم تحديد مواضع الاختلاف بينها ، ثم توجيه ذلك مع ذكر نوع التوجيه مع شرح مبسط لما يحتاجه من قواعد ، بالإضافة إلى التعليق على ترتيب المواضع فى أبوابها وهكذا فى كل المواضع مع التركيز على الجانب التطبيقى لقواعد توجيه المتشابه .

التعريف بالإمام علم الدين السخاوى [١].

اسمه ونسبه : هو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن عطاس السخاوى الهمدانى (بالدال المهملة، نسبة إلى القبيلة العربية) المصرى [٢].

كنيته : أبو الحسن.

ألقابه : علم الدين ، شيخ القراء والأدباء ، السخاوى ، الشيخ الإمام ، العلّامة. والسخاوي: بفتح السين المهملة والخاء المعجمة وبعدها ألف، هذه النسبة إلى سخا، وهي بليدة بالغربية من أعمال مصر، وقياسه سخوي، لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى [٣].

١- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ج ٣ ص٣٤٠ ط : دار صادر بيروت ، **البداية والنهاية** للحافظ ابن الكثير ج ١٣ ص ١٧٠ ط : مكتبة المعارف بيروت، **سير أعلام النبلاء** للإ مام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩ط: بيت الأفكار الدولية، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** للإمام الذهبى ج١ ص٣٤٠ ط: دار الكتب العلمية ، **طبقات القراء** ج ٣ ص ١٠٩١الشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ج١ ص٣٤٠ ط: دار الكتب العلمية ، **معجم الأدباء** لياقوت الحموى جـ٥ ص ١٩٦٣ ط: دار الغرب الإسلامى ، **طبقات الشافعية الكبرى** للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى جـ٨ ص٢٩٧ ط: عيسى البابى الحلبى وشركاه ، **حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة** للحافظ جلال الدين السيوطى ج١ ص٤١٢ ،٤١٣ ط: عيسى البابى الحلبى وشركاه ،**طبقات المفسرين العشرين** للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج١ ص٨٤،٨٥ ط : مكتبة وهبة – القاهرة ، **طبقات المفسرين** محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي ج ١ ص ٤٢٩،٤٣٠ ط دار الكتب العلمية ،**طبقات الشافعية** لأبى بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة ج٢ ص١١٧ ط : عالم الكتب – بيروت، **الأعلام** : لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ج ٤ ص ٣٣٢ ط : دار العلم للملايين .

٢- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ج١ ص٣٤٠ ط: دار الكتب العلمية

٣-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ج ٣ ص٣٤٠ ط دار صادر بيروت.

مولده : ولد فى سخـا (من قرى أرض مصر الغربية) [١]. سنة ثمان وخمسين أو تسع وخمسين وخمسمائة من الهجرة[٢].

طلبه للعلم : طلب العلم صغيراً ورحل فى طلبه وتنقل بين بلدان مصر حيث قَدِم ثغرالإسكندرية (التى كانت فى ذلك الوقت مقر ومقصد علماء أهل السنة) وهو فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره فتعـلم الحديث الشريف والفقه ، وعلوم العربية ، ثم انتقل إلى القاهـرة وسمع الحديث بها وقرأ القراءات وأتقن علوم اللغة ،و بعد وصول الإمام القاسم بن فيره الشاطبى مصر – سنة خمسمائة واثنتين وسبعين من الهجرة – لزمه وقرأ عليه ، وتلقف منه قصيدتيه "حرز الأمانى ووجه التهانى (الشاطبية) ، وعقيلة أتراب القصائد (الرائية) " وكان هو السبب فى شهرة القصيدتين .ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق فقرأ على الكندى شيخ قراء دمشق.

مذهبه الفقهى : كان مبدأ الاشتغال بالفقه على مذهب الإمام مالك بمصر ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعى [٣]. وبه عُرف .فقد سمع فى الإسكندرية من السِلفى ، وأبى الطاهر بن عوف وهما من أعلام المالكية بالإسكندرية ، ولعله تعلم المذهب الشافعى من أبى الجيوش عساكر بن على ، أو عندما قدم دمشق فهو مذكور فى طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكى ، وطبقات الشافعية للإسنوى ، وطبقات الشافعية لتقي الدين ابن قاضي شهبة ، وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي.

١- هكذا ذكر ت فى طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي وغيره ج ١ ص ٤٣٠ ط دار الكتب العلمية ، وهى الآن جزء من مدينة كفر الشيخ . بين فرعي النيل بالدلتا – وتبعد ٢٢ ميلاً شمال طنطا، ٢٠ ميلاً شمال غرب سمنود.

٢- سير أعلام النبلاء للإ مام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.

٣- معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ٥ ص ١٩٦٣ ترجمة رقم: ٨٣٣.

شيوخـــه [١].

تلقى العلم على أيدى الكثير من العلماء بمصر ودمشق ، ومن أشهرهم :

١ – أبو الطاهر السِلفى [٢].

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السِلَفى نسبة لجده(بكسر السين وفتح اللام أى الغليظ الشفه) الأصبهاني، صدر الدين، أبو الطاهر السلفي ولد سنة أربعمائة وخمس وسبعين من الهجرة على التخمين .حافظ مكثر، من أهل أصبهان. رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الظافر العبيدي) مدرسة في الإسكندريـة، سنة خمسمائة وست وأربعين ، فأقام فيها إلى أن توفي سنة خمسمائة وست وسبعين.

٢ – أبو الطاهر بن عوف [٣].

صدر الإسلام أبو الطاهر إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف ينتهى نسبه للصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف الزهرى الإسكندرانى قصده السلطان صلاح الديـن وسمع منه الموطأ . توفى فى شعبان سنة خمسمائة وإحدى وثمانين عن ست وتسعين سنة . ويعد من مجددى القرن السادس وهو صاحب أول مدرسة سنية نظامية أنشئت فى مصر.

٣ – أبو الجيوش عساكر بن على [٤].

هو عساكر بن علي بن إسماعيل أبو الجيوش المصري المقرئ النحوي الشافعي ولد سنة تسعين وأربعمائة.وقرأ القراءات على أبي الخير أحمد بن

١– سير أعلام النبلاء للإ مام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.

٢– سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى جـ ١ ص٨٩ ٧.

٣– حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطى ج١ ص٤٥٢،٤٥٣.

٤– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ج١ ص ٣٦ ط: دار الكتب العلمية.

محمد شمول وعلي بن عبد الرحمن الحضرمي، ونفطويه، وإبراهيم بن أغلب النحوي، والشريف الخطيب، وتفقه على قاضي القضاة مجلى بن جميع.وقرأ العربية وتصدر للإقراء بدار العلم، وبالجامع الظافري وانتفع به الناس، وكان ذا صلاح ودين، ومات في المحرم سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

٤ – الشـــاطبي [١] .

القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الإمام أبو محمد وأبو القاسم الرعيني المقرئ الضرير أحد الأعلام.ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة بالأندلس وتوفى سنة خمسمائة وتسعين من الهجرة ، لازمه مدة وقرأ عليه القــرآن بالروايات وتلقف منه قصيدته المشهورة فى القراءات " الشـــاطبية " أو " حرز الأمانى ووجه التهانى " ويعد الإمام الســـخاوى سبب شهـرة " الشاطبية " [٢] . فهو أول من شرحها فى كتابه " الوحيد فى شرح القصيد "[٣].، كما أنه السبب فى نشرها بدمشق فقد كان له حلقة بالجامع بدمشق عندما قدم إليها مع الأمير ابن موسك .

وكان الإمام علم الدين السخاوى يرفع سنده إلى الإمام الشاطبى بالرغم من أنه قرأ على من هو أعلى منه سندا وفاء لشيخه.

٥ – أبو القاسم البوصيرى [٤].

مسند الديار المصرية أمين الدين أبو القاسم هبة الله بن على بن سعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصارى الخزرجى المصرى ولد عام خمسمائة وستة ، وتوفى فى الثانى من صفر عام خمسمائة وثمان وتسعين من الهجرة .

١– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار المؤلف: شمس الدين الذهبي ج١ ص ٣١٢.
٢– الأعلام : لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ج ٤ ص ٣٣٢ ط دار العلم للملايين.
٣– معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٥ ص ١٩٦٣.
٤– سير أعلام النبلاء للإ مام الذهبى جـ ٣ ص ٤٠٥٨.

٦ – إسماعيل بن ياسين [١].

هو إسماعيل بن صالح بن ياسين بن عمران الشارعى الشفيقى الجبلى المصرى الشيخ المسند الصالح أبو الطاهر.

ولد عام خمسمائة وأربعة عشر ، وتوفى فى الثانى عشر من ذى الحجة عام خمسمائة وستة وتسعين .

٧ – الشهاب الغزنوى [٢] .

هو محمد بن يوسف بن علي الإمام شهاب الدين، أبو الفضل الغزنوي، المقرئ الفقيه الحنفي، نزيل القاهرة.

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وسمع في صغره من أبي بكر قاضي المرستان، وأبي منصور بن خيرون وجماعة، وقرأ القراءات على أبي محمد سبط الخياط ، وحدث ببغداد والشام ومصر، وتصدر للإقراء ومات بالقاهرة، في نصف ربيع الأول، سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

٨ – أبو الجود [٣] .

هو غياث بن فارس بن مكي الأستاذ أبو الجود اللخمي المنذري، المصري المقرئ الفرضي، النحوي العروضي الضرير، شيخ القراء بديار مصر. ومولده سنة ثمان عشرة وخمسمائة، تصدر بالجامع العتيق بمصر، وبمسجد الأمير موسك بالقاهرة، وبالمدرسة الفاضلية، إلى أن توفي في تاسع رمضان سنة خمس وستمائة.

٩ – ابـــن طبـــرزد [٤] .(٥١٦ – ٦٠٧ هـــ = ١١٢٣ – ١٢١٠ م)

عمر بن محمد بن معمر بن يحيى ابن أحمد بن حسان، أبو حفص، ابن طبرزد، الدارقزي، البغدادي: مؤدب. كان شيخ الحديث في عصره. أدب

١- سير أعلام النبلاء للإ مام الذهبى جـ ١ ص ١١٠٥،١١٠٦.
٢- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار المؤلف: شمس الدين الذهبي ج١ ص٣١٥ .
٣- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص٣٢٠،٣٢١.
٤- الأعلام : لخير الدين الزركلي الدمشقي ج ٥ ص ٦١.

الصبيان في محلة " دار القز " ببغداد فنسب إليها. وحدث ببغداد وبإربل والموصل وحران وحلب ودمشق وغيرها.

١٠ – الكنـدى [١] .

هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن، بن سعيد بن عصمة بن حمير، العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي، التـاجر المقـرئ النحـوي الحنفـي، شـيخ القـراء والنحـاة بدمشـق. ولد في شعبان سنة عشرين وخمسمائة، وقرأ القرآن تلقينا على أبي محمد سبط الخياط، وله نحو من سبع سنين، وهذا نادر، وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر، وهو ابن عشر حجج، وتوفي في شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بقاسيون، رحمه الله تعالى.

وبالرغم من أن الإمام علم الدين السخاوى أخذ القراءات عن أبي القاسم الشاطبي، وأبي الجود اللخمي، وأبي الفضل الغزنوي، وأبي اليمن الكندي، لكنه اقتصر على الشاطبي، وأبي الجود في إسناد الروايات عنهما [٢].

كثرة تلامذتـــه : تكاثر عليه القراء كثرة لم تعرف لأحد فى زمانه والدليل على ذلك :

١ – أنه : كان يُقرئ فى الوقت الواحـــد الاثنين فأكثر كل واحد فى سورة [٣].

ولعل هذا من كثرة الراغبين فى القراءة عليه مع ضيق وقته .

٢ – تصدر للإقراء بجامع دمشق، وازدحم عليه الطلبة وقصدوه من البلاد وكان يفتي على مذهب الشافعي، وأخذ عنه القراءة خلائق لا تحصى، **ولا أعلم أحداً في الدنيـــا من القراء أكثر أصحابا منه** [٤].

١- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص٣١٨ ،٣١٩.

٢- معرفة القراء الكبار على الطبقات ج١ ص ٣٤٠.و قيل إن سبب ذلك رؤية رآها ، أو كان هذا طلب الإمام الشاطبى منه.

٣- سير أعلام النبلاء للإ مام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.

٤- طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج١ ص٨٤.

٣ – وأنه كان : شيخ القراء بدمشق **ختم عليه ألوف الناس** [١].

٤ – قول ابن خلكان – وهو ممن عاصره – : " ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة، ولا تصح لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان، ورأيته مراراً يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحين وحوله اثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر، والكل في دفعة واحدة، وهو يرد على الجميع. ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن توفي بدمشق. " [٢] . وهذا يدل على أنه كان يُقرِئ حتى فى طريقه لكثرة الراغبين فى القراءة عليه، كما يدل على تمكنه .

وقرأ عليه ، وحدث عنه الكثيرون والذين صاروا أعلاما .

فممن قرأ عليه:

١ – شمس الدين أبو الفتح الأنصارى [٣] .

هو محمد بن علي بن موسى الإمام، شمس الدين أبو الفتح الأنصاري الدمشقي. أحد الكبار، من أصحاب أبي الحسن السخاوي، وهو الذي ولي مشيخة الإقراء، بعد شيخه بتربة أم الصالح، وكان عارفا بوجوه القراءات، جيد العربية مجموع الفضائل. وفي صفر سنة سبع وخمسين وستمائة توفي .

٢ – شهاب الدين أبو شامة [٤] .

أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، العلامة ذو الفنون، شهاب الدين أبو القاسم المقدسي، ثم الدمشقي الشافعي المقرئ، النحوي الأصولي، صاحب التصانيف.

١–البداية والنهاية للحافظ ابن الكثير ج ١٣ ص ١٧٠.

٢–وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ج ٣ ص٣٤٠ ط دار صادر بيروت.

٣– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ج١ ص ٣٦٠ط: دار الكتب العلمية

٤– معرفة القراء الكبار ج١ ص ٣٦١.

ولد في أحد الربيعين سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقرأ القرآن صغيرا، وأكمل القراءات على شيخه السخاوي سنة ست عشرة وستمائة.

توفى فى تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وستمائة.

٣ – ركن الدين إلياس بن علوان بن ممدود الأربلي المقرئ الملقن[١] . سمع من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وقرأ على السخاوي. وتصدر للإقراء بالجامع الأموي زمانا، وكان حاذقا بتعليم القرآن، يقال ختم عليه أكثر من ألف نفس. وكان يؤم بمسجد طوغان بالفسقار.

توفي في ربيع الآخر، سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

٤ – عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس[٢] .

الإمام الكبير زين الدين، أبو محمد الزواوي المالكي، المقرئ شيخ القراء في زمانه بدمشق. وشيخ المالكية ومفتيهم وقاضيهم، ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة أو قبلها توفى في رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة.

٥ – جمال الدين الفاضلى [٣] .

هو إبراهيم بن داود بن ظافر بن ربيعة، الإمام جمال الدين أبو إسحاق العسقلاني، ثم الدمشقي المقرئ الشافعي المشهور بالفاضلي؛ لأن أباه كان متصلا بالقاضي الفاضل، وابنه القاضي الأشرف، ولد في صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وتوفي إلى عفو الله تعالى ورحمته، ليلة الجمعة، مستهل جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وستمائة، وقد نيف على السبعين.

٦ – شمس الدين محمد بن الدمياطى [٤] .

هو محمد بن عبد العزيز بن أبي عبد الله بن صدقة، الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن الدمياطي، الدمشقي المقرئ.

١- معرفة القراء الكبار ج١ ص ٣٦٩.

٢- معرفة القراء الكبار ج١ ص ٣٦٣،٣٦٤.

٣- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص ٣٧٧.

٤- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص ٣٧٩،٣٨٠.

ولد في حدود سنة عشرين وستمائة، توفي في الحادي والعشرين من صفر، سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

٧ – نظام الدين محمد بن عبد الكريم التبريزى[١] .

هو محمد بن عبد الكريم بن علي الشيخ المعمر نظام الدين، أبو عبد الله التبريزي، ثم الدمشقي.

ولد في حدود سنة عشر وستمائة، توفي إلى رحمة الله تعالى، في ربيع الآخر، سنة أربع وسبعمائة .

و ممن حدث عنه :

١ – محمد بن قايماز الدقيقى [٢] .

هو الحاج المقرئ شمس الدين محمد بن قيماز عتيق بشر الطحان. قرأ القراءات على السخاوي مفردا، لا جامعا، وكان معه إجازة، توفي سنة اثنتين وسبعمائة، عن ثلاث وثمانين سنة، وقد حدث بصحيح البخاري، عن ابن الزبيدي.

٢ – رشيد الدين [٣] .

أبو بكر بن أبي الدر المكيني المقرئ، أحد الحذاق بالفن ، ورحل في طلب الإسناد ، توفي في سنة ثلاث وسبعين وستمائة بدمشق، وقد نيف على السبعين –رحمه الله تعالى –.

٣ – الخطيب شرف الدين الفزارى [٤] .

١– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص ٣٧٤،٣٧٣.
٢– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار المؤلف: شمس الدين الذهبي ج١ ص ٣٩٠ط: دار الكتب العلمية.
٣– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص ٣٦٣.
٤– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج١ ص ٣٨٣.

أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الإمام شرف الدين، أبو العباس الفزاري، البدري المقرئ النحوي الشافعي، خطيب جامع دمشق. ولد في رمضان سنة ثلاثين وستمائة.

وتوفي بدار الخطابة، ليلة العشرين من شوال، سنة خمس وسبعمائة – رحمه الله–.

سعة علمه :

" كان إماما فى العربية بصيرا باللغة فقيها مفتيا عالما بالقراءات ، وعللها مجودا لها بارعا فى التفسير وروى الكثير وبعد صيته وتكاثر عليه القراء. "[١] .

"وَله معرفَة تَامَّة بالفقه وَالْأُصُول وَكَانَ يُفْتِي على مَذْهَب الشَّافِعِي"[٢] .

هذا العالم الكبير تجده فى معجم الأدباء ، فهو أديب مجيد ، وتجده فى طبقات الشافعية فهو فقيه شافعى مُفت، وتجده فى طبقات القراء فهو من أشهرهم تلقف الشاطبية والرائية من الشاطبى وقام بشرحهما ونشرهما فى البلدان ، وتجده فى طبقات المفسرين .تجد ذكره فى هذه العلوم فهو عَلَم فى كل عِلم له ذكر وصيت فهو لغوى أديب ،و قارئ مفسر ، وفقيه مفت قرع أبواب العلوم حتى قرع بابه الأمراء وطلاب العلم ورُفِع ذكره فيها كلها ، ونقش اسمه فى أعلى طبقاتها .

صفاته وأخلاقه

" كان دينا حسن الأخلاق محببا إلى الناس وافر الحرمة مطرحا للتكلف ليس له شغل إلا العلم ونشره ." ، وكان " من أفراد العالم ، ومن أذكياء بنى آدم حلو النادرة مليح المجاورة" [٣].

١- سير أعلام النبلاء للإ مام الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.

٢- طبقات الشافعية : لأبى بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة ج٢ ص١١٧.

٣- سير أعلام النبلاء جـ ٢ ص ٢٨٣٩، طبقات القراء ج ٣ ص ١٠٩١ للإ مام الذهبى .

وكان "دينا خيرا متواضعا مطرحا للتكلف حُلْو المحاضرة مطبوع النادرة حاد القريحة من أذكياء بني آدم وَكَانَ وافر الْحُرْمَة كَبِير الْقدر محببا إِلَى النَّاس وَكَانَ لَيْسَ لَهُ شغل إِلَّا الْعلم والإفادة ." (١).

تقدير الأمراء والسلاطين له

١ – " كان يعلم أولاد الأمير ابن موسك وهو الذى اصطحبه معه إلى دمشق ." (٢).

٢ – " وفد على السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ست وثمانين وخمسمائة فى ظاهر عكا زمن الحصار وامتدحه بقصيدة طويلة "(٣) .منـــــــها :

بين الفؤادين من صب ومحبوب يظل ذو الشوق فى شد وتقريب(٤).

وكلاهما مكث مدة بالإسكندرية ، وسمع من أبى الطاهر بن عوف فهما من الأقران فى طلب العلم .

ثناء العلماء عليه :

قال عنه ابن خلكان : " انتقل إلى مدينة دمشق وتقدم بها على علماء فنونه واشتهر و كان للناس فيه اعتقاد عظيم ." (٥).

وقال عنه الإمام ابن كثير : " شيخ القراء بدمشق ختم عليه ألوف الناس وله تفاسير وتصانيف كثيرة "(٦).

وقال عنه الإمام أبو شامة : " توفى شيخنا علم الدين **علّامة زمانه** و**شيخ أوانه** بمنزله بالتربة الصالحية وكان على جنازته هيبة وجلالة وإخبات، ومنه استفدت علوما جمة كالقراءة والتفسير وفنون العربية ." (٧).

١– طبقات الشافعية : لتقي الدين ابن قاضي شهبة ج٢ ص١١٧.

٢– معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٥ ص ١٩٦٣، و**كان الأمير عماد الدين بن موسك من أخص الأمراء بالملك الأشرف بن العادل ، وأبوه عز الدين موسك ابن خال السلطان صلاح الدين.**

٣ – سير أعلام النبلاء للإ مام أبى عبد الله شمس الدين الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.

٤– طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى جـ٨ ص٢٩٨.

٥–وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ج ٣ ص٣٤٠.

٦–البداية والنهاية للحافظ ابن الكثير ج ١٣ ص ١٧٠.

٧ – سير أعلام النبلاء للإ مام الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.

وقال عنه الإمام الذهبى : "كان إماما علّامة مقرئاً، محققاً، بصيراً بالقراءات وعللها ماهراً بها، إماما في النحو، واللغة، إماما في التفسير، كان يتحقق بهذه العلوم الثلاثة ويحكمها، وله معرفة تامة بالفقه والأصول." (١) .

قال عنه الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى : " قصده الخلق من البلاد لأخذ القراءات عنه ، وله المصنفات الكثيرة والشعر الكثير ، و**كان من أذكياء بنى آدم** ." (٢).

وقال عنه تقى الدين ابن قاضى شهبة :"فاق أهل زَمَانه فِي الْقرَاءَات والعربية وَالتَّفْسِير وَولي مشيخة الإقراء بِأم الصَّالح وانتفع بِهِ جمَاعَة كَثِيرُونَ."(٣).

وقال عنه الإمام السيوطى : " كان فقيها مفتيا إماما فى القراءات والتفسير والنحو واللغة لازم الشاطبى وتصدر للإقراء وانتفع به الناس وله مصنفات كثيرة ." (٤).

من مؤلفاته

له تصانيف كثيرة منها (٥) . :

١ – التفسير: وصل فيه إلى الكهف .

٢ – شرح الشاطبية : سماه " الوحيد فى شرح القصيد " أو " فتح الوصيد فى شرح القصيد".

٣ – شرح الرائية للشاطبى : وهى قصيدة "عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد" فى رسم القرآن الكريم وسماه " الوسيلة إلى شرح العقيلة ".

٤ – شرح المفصل .

١– طبقات المفسرين العشرين عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج١ ص٨٤.
٢– طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى جـ٨ ص٢٩٧.
٣– طبقات الشافعية :لأبى بكر تقي الدين ابن قاضي شهبة ج٢ ص١١٧.
٤– حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطى ج١ ص٤١٣.
٥– طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج١ ص٨٤.

٥ – شرح الأحاجي في النحو.

٦ – له شعر رائق.

٧ – كتاب جمال الْقُرَّاء وتاج الإقراء [١].

٨ – هداية المرتاب : منظومة في متشابه كلمات القرآن ، مرتبة على حروف المعجم [٢].

٩ – المفاخرة بين دمشق والقاهرة .

١٠ – سفر السعادة.

١١ – الكوكب الوقاد : كتاب في أصول الدين.

١٢ – القصائد السبع [٣].: وهى قصائد فى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

ومما فُقِد من مؤلفاته أو ما زال مخطوطاً[٤].

١ – روضة الدرر والمرجان فى تجويد القرآن.

٢ – عمدة المفيد وعدة المجيد فى لفظ التجويد التى تعرف بنونية السخاوى.

٣ – روض القرآن وحوض الظمآن .

٤ – شرح قصيدة ظاءات القرآن للشاطبى .

هذا مع انشغاله فى الإقراء حيث تزاحم عليه طلاب العلم من شتى البلاد ، فقد كان شيخ الإقراء فى دمشق والشام، وأقرأ الناس نيفا وأربعين سنة فغالب وقته كان يقضيه فى الإقراء حتى وهو فى الطريق.

١– طبقات الشافعية :لأبى بكر تقي الدين ابن قاضي شهبة ج٢ ص١١٧.

٢– الأعلام : لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ج ٤ ص ٣٣٢.

٣– الأعلام : لخير الدين الزركلي الدمشقي ج ٤ ص ٣٣٢.

٤– الإمام علم الدين السخاوى وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر فى العلوم الإسلامية – تخصص : التفسيرو علوم القرآن – للطالب مختار قديرى – جامعة الشهيد حمه لخضر قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية – الجزائر العام الجامعى١٤٣٦هـ ص ١١١، ص١١٣.

القيمة العلمية لمؤلفاته

أولا: كتابه جمال القراء يعد مصدرا أساسيا لعلوم القرآن حيث :

اعتمد عليه الإمام أبو شامة فى كتابه " المرشد الوجيز " ، ونقل منه الإمام القرطبى فى تفسيره " الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان " ، واستدل به الإمام ابن الجزرى فى الكثير من كتبه مثل " منجد المقرئين " و" النشر فى القراءات العشر " ، واعتمد عليه الإمام السيوطى وذكره أكثر من مرة فى كتابه " الإتقان فى علوم القرآن " وكذلك فى كتابه "معترك الأقران " ، وذكره الإمام الألوسى فى " روح المعانى ".

"جامع مانع جمع فيه مؤلفه – رحمه الله – عشرة كتب كل كتاب فى فن من فنون علوم القرآن الكريم وهذا الكتاب حرى أن يعتنى به وأن يكون مرجعا من مراجع علوم القرآن." [1].و هو كذلك بالفعل لكنه مفرق فى كتب الأئمة كمصدر أصيل من مصادرهم.

ثانيا: كتابه " الوحيد فى شرح القصيد " هو أول شرح للشاطبية فى القراءات السبع بل هو أفضل شروحها فقد تلقى الإمام علم الدين الشاطبية من الإمام الشاطبى وقرأها عليه فهو أعلم الناس بمقصد شيخه .

ثالثا: كتابه " الوسيلة إلى شرح العقيلة " هو أيضا أول شرح للرائية فى رسم القرآن الكريم ، وكل من جاء بعده اقتفى أثره وتأثر به ، وقد أشار ليه الإمام السيوطى أكثر من مرة فى كتابه " الإتقان فى علوم القرآن " ، وكذلك أشار إليه الألوسى فى " روح المعانى ".

رابعا : منظومة هداية المرتاب في متشابه الكتاب هى المرجع الأول فى علم المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم .

من هذا كله يتضح لنا أن الإمام علم الدين السخاوى له إسهامات كبيرة فى كل فروع علوم القرآن الكريم بل إنه لم يترك فرعا إلا وترك فيه مرجعا رجع

١– الإمام علم الدين السخاوى وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن ص ٦٠بتصرف.

إليه الأئمة الأعلام ، وإن ضاع الكثير من كتبه كمجلدات إلا إنها موجودة متناثرة بين مراجع الأعلام لجلال الموضوعات التى يؤلف فيها .

وفاتـه : فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بمنزله بالتربة الصالحية وكان على جنازته هيبة وجلالة وإخبات [١].

ودفن بسفح قاسيون[٢].

وذكر الإمام السيوطى أنه توفى ليلة الأحد ثانى عشرمن جمادى الآخرة[٣].وقد نيف على تسعين سنة، رحمه الله تعالى.

ولما حضرته الوفاة أنشد لنفسه: [٤].

قالوا غداً نأتي ديار الحمى ... وينزل الركب بمغناهم
وكل من كان مطيعاً لهم ... أصبح مسروراً بلقياهم
قلت: فلي ذنبٌ فما حيلتي ... بأي وجه أتلقاهم
قالوا: أليس العفو من شانهم ... لا سيما عمن ترجاهم

طبيعة الفترة الزمنية التى عاش فيها

أبسط وصف لعمر الإمام علم الدين ٥٥٨هـ -٦٤٣هـ أنه عمر الدولة الأيوبية٥٦٥ هـ – ٦٤٨هـ حيث ولد قبل تأسيسها بقليل ، وتوفى قبل نهايتها بقليل وإن شئت قل مات وماتت بعده.

وبالتالى عاش أحداثا عظيمة ، وعاصر فتح بيت المقدس وغيره ، بل وحضر إحدى الحملات الصليبية وحضر حصار عكة واتصل بصلاح الدين ومدحه ، فالفترة التى عاشها كانت تتميز بأمور منها :

١- سير أعلام النبلاء للإ مام الذهبى جـ ٢ ص ٢٨٣٩.
٢- البداية والنهاية للحافظ ابن الكثير ج ١٣ ص ١٧٠ . جبل قَاسيون -بالفتح :-الجبل المشرف على مدينة دمشق، فيه عدة مغارات وكهوف، في سفحه مقبرة أهل الصلاح.
٣- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطى ج١ ص٤١٢.
٤-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ج ٣ ص٣٤٠ .

١ – حياة الأمة الإسلامية بالجهاد فى سبيل الله حتى تمكنت من هزيمة الصليبين أكثر من مرة ، ومن استرداد المقدسات . نسأل الله أن تعود لنا مرة أخرى.

٢ – تكريم العلماء ، ورفع مكانتهم لدى العامة ولدى السلاطين فمن المعروف تقديرسلاطين الدولة الأيوبية للعلماء علماء أهل السنة والجماعة خاصة للقضاء على الخطر الشيعى .

٣– النزاعات الداخلية بين الأمراء والتى أدت لضعف الدولة ثم انهيارها.

وهذا ملخص لتلك الفترة

اعتلى «أسد الدين شيركوه» كرسى الوزارة فى مصر، ولكنه تُوفِّى بعد قليل، فخلفه فى المنصب ابن أخيه «صلاح الدين» سنة (٥٦٥هـ) وهو فى الثانية والثلاثين من عمره.

عمل «صلاح الدين» على توطيد مركزه فى «مصر»؛ لتأسيس دولة قوية تحل محل الدولة الفاطمية التى ضعفت، وتحقق له ذلك بعد وفاة «العاضد» آخر خلفاء الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ

استرد صلاح الدين بيت المقدس في رجب ٥٨٣هـ وواجه حملة صليبية من أكبر الحملات، وعقد مع الصليبيين صلح الرملة .

توفي صلاح الدين عام ٥٨٩ هـ بعد أن قسم دولته بين أولاده وأخيه العادل، ولكنهم تناحروا فيما بينهم، وظل بعضهم يقاتل بعضًا في ظروف كانت الدولة تحتاج فيها إلى تجميع الصفوف

لم يكد يتوفى العادل أبو بكر حتى انهال الصليبيون على الشام ومصر وخصوصًا مصر في حملات صليبية متتابعة .

اختلف الأخوان الأشرف موسى مع المعظم عيسى – ابنا العادل – على حدود النفوذ في الشام والجزيرة ووقعت بينهما الكثير من المشاكل والاضطرابات كرست الفتنة وعمقت أسباب الخلاف ومهدت لمزيد من التخبط وفتحت طريق سقوط الدولة .

تـولى الحكـم الكامـل محمـد والـذى قَبِـل أن يتنـازل طواعيـة عـن بيـت المقدس للملك فريدريك الثاني سنة ٦٢٥ هـ.

وُلِي بعد وفاة الكامل محمد ابنـه الصـالح أيـوب وذلـك سـنة ٦٣٧ هـ، والذي استرد بيت المقدس ودمشق وعسقلان بعد تحالفه مع القوات الخوارزمية الهاربة من الغزو المغولي.

تولى بعده ابنـه توران شاه والذى قُتِل ليلة ٢٨ من المحرم ٦٤٨ هـ ، وبذلك انتهت الدولة الأيوبية.

أرجوزة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب [١] .

هذا هو الاسم الذى اختاره الإمام علم الدين السخاوى لقصيدته ، وأحيانا يضيف بعض الشراح (فى تبيين متشابه الكتاب) أو يطلقون عليها المنظومة السخاوية لأن الإمام السخاوى أول من نظم فى المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم . والقصيدة كما قيل عنها بينة الألفاظ واضحة المعنى للحفاظ ، فصاحبها أديب مجيد ولغوى كبير وذو موهبة نادرة وذكاء نادر.

أهمية القصيدة وشهرتها

مما يدل على أهمية القصيدة لدى القدماء والمحدثين أنه لم تلق قصيدة مثلها من الشهرة بالشروح والتعليقات ، والإشارة إليها – على الأقل – لدى من تكلم عن المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم .

أولا : شهرتها لدى القدماء:

١ – ذكر الإمام شهاب الدين أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) فى منظومته " تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن " أنه سار فى منظومته على نهج شيخه الإمام علم الدين السخاوى فى منظومته فقال :

وشـيخنا علَّامـــة الزمـان نَظَـمَ مـا أَشَكـلَ فـى القـرآن
أرجـوزة وهـو لهـا قـد أجمـلا رحمـــه الله لمـا قـــد فعـلا

١– أرجوزة :لأن القصيدة من بحر الرجز ووزنه مستفعلن مستفعلن مستفعلن فى كل شطر، ومنظومة : لأن النظم يختلف عن الشعر فى خلوه من المشاعر إنما هو عمل علمى.

وقد بقى شيء من المشتبه صعب على القارئ لم يأت به
قد استخرت الله فى إكماله نظما يحاكى الشيخ فى فعاله[١].

وهذا يدل على أن من جاء بعد الإمام علم الدين السخاوى قد تأثر بمنظومته فهو أول من نظم فى المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم ،

وهو أول من رتبه على حروف المعجم .

٢ – ذكرها الإمام الزركشى فقال:

" النوع الخامس: علم المتشابه

وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ وَنَظَّمَهُ السَّخَاوِيُّ . "[٢].

٣ – ذكرها الإمام جلال الدين السيوطى فقال :

"النَّوْعُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ: فِي الْآيَاتِ الْمُشْتَبِهَاتِ أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلْقٌ أَوَّلُهُمْ فِيمَا أَحْسَبُ الْكِسَائِيُّ وَنَظَّمَهُ السَّخَاوِيُّ وألف في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن." [٣].

والإمامان المذكوران من أشهر مَن ألف فى علوم القرآن الكريم ولم يذكر أى منهم منظومة غيرها.

و يقول الإمام علم الدين السخاوى فى مطلع القصيدة:

قَالَ السَّخَاوِيُّ عَلِيٌّ نَاظِمًا كَانَ لَهُ اللهُ الرَّحِيمُ رَاحِمَا

ثم قال:

وَقَدْ نَظَمْتُ فِي اشْتِبَاهِ الْكَلِمِ أُرْجُوزَةً كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْتَظَمِ
لَقَّبْتُهَا: هِدَايَةَ الْمُرْتَابِ وَغَايَةَ الْحُفَّاظِ وَالطُّلَّابِ

١– بحث بعنوان :" تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن " لأبى شامة . دراسة وتحقيق د/ أحمد بن سليمان بن صالح الخضير الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم .نشر فى مجلة معهد الإمام الشاطبى .العدد الثانى والعشرون ذو الحجة ١٤٣٧هـ ص:٢١٨.

٢– البرهان في علوم القرآن لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ج١ص١١٢ ط: دار إحياء الكتب العربية.

٣– الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى ج٢ ص١٨٥ طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية.

ثانيا : شهرتها لدى المُحدَثين:

القصيدة مشهورة متداولة فى مختلف بلدان العالم الإسلامى ، ومن الدلائل على ذلك :

١ – كثرة الشروح لتلك القصيدة فى مختلف بلدان العالم الإسلامى ، ومن تلك الشروح :

أ – التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية فى متشابهات الآيات القرآنية.

تأليف / محمد سالم محيسن و شعبان محمد إسماعيل

المدرسان بالأزهر الشريف وعضوا لجنة مراجعة المصاحف

الناشر : المكتبة المحمودية التجارية بميدان الأزهر الشريف بمصر.

وهذا الشرح هو الذى اعتمدت عليه فى عملى هذا نظرا لمكانة المؤلِّفين العلمية العالية [١].

١– الأستاذ الدكتور محمد محمد سالم محيسن – رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء – له العديد من الكتب التى طُبعت على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية والتى كنا ندرسها بمرحلة العالية ، ومرحلة التخصص، ومنها : إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين ، المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، الإرشادات الجلية فى القراءات السبع من طريق الشاطبية ، وكانت كتبه أقرب الطرق لإفهامنا غوامض العلوم مع دقتها، كما أنه قام بالتدريس فى معاهد مصر ، والكثير من الجامعات فى مصر والسودان والمملكة العربية السعودية. ولد ببلدة الروضة، مركز فاقوس، الشرقية بمصر عام ١٣٤٩هـ الموافق عام ١٩٢٩م. توفي عام ٢٠٠١م عن عمر ناهز ٧٢ عاما رحمه الله .

الأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل ولد في محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية سنة ١٣٥٩ هـ/ ١٩٣٩م حفظ القرآن الكريم وجوّده، ثم التحق بالأزهر فدرس في معهد القراءات حتى حصل على شهادة (التخصص) في القراءات وعلوم القرآن، ثم التحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر فحصل على (الإجازة العالية) في الدراسات الإسلامية والعربية ثم على الماجستير والدكتوراه في أصول الفقه عمل عضوا في لجنة مراجعة المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ولجنة موسوعة الفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر يعمل حاليا أستاذا بقسم القراءات، مرحلة الدراسات العليا ، جامعة أم القرى. (نقلا عن موقع المكتبة الشاملة).

ب – اللؤلؤ المنتظم وغاية الحفاظ . شرح على المنظومة السخاوية فى متشابهات الآيات القرآنية والنظم للعلامة علم الدين على السخاوى المصرى بقلم فضيلة الشيخ محمد أبى الخير مصطفى.

الناشر : دار الصحابة للتراث بطنطا .

جـ – هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب فى تبيين متشابه الكتاب.

صنفه الإمام : شيخ الإقراء بالشام علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوى .

تحقيق الشيخ/ جمال الدين محمد شرف.

الناشر دار الصحابة للتراث بطنطا .

د – هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب فى تبيين متشابه الكتاب

الإمام شيخ الإقراء بالشام علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوى (٥٥٨ – ٦٤٣هـ)

حققه وشرحه وقدم له بمدخل عن التشابه اللفظى فى القرآن عبد القادر الخطيب الحسنى .دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان .

و هذه الشروح المذكورة أمكننى العثور عليها ، وهناك شروح أخرى لم أتمكن من العثور عليها مثل:

هـ – التسهيل فيما يشتبه على القارئ من آي التنزيل شرح منظومة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب للإمام السخاوي

تأليف / علي إسماعيل هنداوي ومحمد عوض زايد الحرباوي

الناشر :مكتبة معهد الإمام الشاطبي الرياض.

و – كشف الحجاب عن هداية المرتاب منظومة للأستاذ علم الدين أبي الحسن علي بن عبدالصمد المصري السخاوي الشافعي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق.

شرحها الأستاذ المقرئ الشيخ محمد نجيب خياطة الشهير بالآلا مدير مدرسة الحفاظ للأوقاف الإسلامية بحلب .

٢ – إشارة الكثير من الباحثين فى المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم فى أبحاثهم إليها مثل :

أ – الدكتورأحمد بن سليمان بن صالح الخضير الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم .

لـه بحـث بعنـوان :" تتمـة البيـان لمـا أشـكل مـن متشـابه القـرآن " لأبى شامة.

قال فيه : " وأول من نظم فى المتشابه اللفظى هو علم الدين السخاوى (ت ٦٤٣ هـ) فى منظومته " هداية المرتاب " [١].

ب –الدكتور محمد مصطفى آيدين يقول عنها:

" هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب ، تأليف شيخ القراء نور الدين علي بن عبد الله السخاوي الشافعي ت ٦٤٣هـ وهي أحسن منظومة فيما يشتبه على القارئ." [٢].

جـ– يقول الباحث محمد بن راشد البركة :

" تعتبر منظومة السخاوى " هداية المرتاب " أم المنظومات فى المتشابه و أشهرها بل لعلها أشهر المؤلفات فى المتشابه اللفظى عموما .

و يقول فى موضع آخر:

" حتى إنه لم تشرح منظومة أخرى فى المتشابه غيرها سوى منظومة ابن أنبوجا التشيتى فى شرح واحد يتيم . "[٣].

١– بحث بعنوان :" تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن " لأبى شامة . ص:٢١٨.

٢ –درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد الأصفهانى المعروف بالخطيب الإسكافى ج ١ ص ٧٥ أصل هذا العمل رسالة دكتوراه بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى، مكة المكرمة سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة للدكتور محمد مصطفى آيدين.

٣– رسالة ماجستير بعنوان :" المتشابه اللفظى فى القرآن وتوجيهه " مقدمة من الطالب محمد بن راشد البركة المملكة العربية السعودية جامعة الإمام محمد بن سعود كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه . ص:٩٨.

د – يقول الباحث مختار قديرى عن القصيدة :

" لهذا المُصنَف قيمة علمية كبيرة إذ يعد من أوائل المؤلفات التى أُلفت فى متشابهات القرآن بل تعد أول أرجوزة تم نظمها فى هذا الفن – حسب علمى – ُقد اعتنى الكثير من أهل العلم بهذه المنظومة ُشرحت عدة شروح وما زالت هذه المنظومة تحفظ فى الكتاتيب والمدارس القرآنية."[١].

مصادر الإمام علم الدين السخاوى فى تأليف القصيدة

١ – خبرته الواسعة فى الإقراء فقد أقرأ الناس بدمشق أكثر من أربعين عاما هذا مع ازدحام الطلاب عليه فقد كان يُقرئ أكثر من طالب فى الوقت الواحد ، وكان يُقرئ فى الطريق ، فعرف المواضع التى تشتبه على الطلاب.

٢ – تمكنه من علوم العربية ، وإجادته لها بل وتأليفه فيها بمختلف فروعها فقد كان إماما مجيدا للنحو والصرف والعروض وغيرها .

٣– صحبته للإمام الشاطبى مؤلف المتون المختلفة ، وهى: [٢].

أ – "حرز الأمانى ووجه التهانى " فى القراءات السبع.

ب – " عقيلة أتراب القصائد " فى بيان رسم المصاحف العثمانية. وقد كان الإمام علم الدين السخاوى أول من شرح القصيدتين .

جـ – ناظمة الزهر فى علم الفواصل .

د – قصيدة دالية – اختصر فيها كتاب التمهيد لابن عبد البر.

ولا شك أن الإمام علم الدين السخاوى تأثر بمنهج الإمام الشاطبى فى التأليف (النظم) فحذا حذوه فى علم المتشابه اللفظى ، فكان الإمام الشاطبى

١– الإمام علم الدين السخاوى وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر فى العلوم الإسلامية – تخصص : التفسيرو علوم القرآن – للطالب مختار قديرى – جامعة الشهيد حمه لخضر قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية – الجزائر العام الجامعى١٤٣٦هـ ص ١٠٦.

٢– بشير اليسر شرح ناظمة الزهر فى علم الفواصل لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى ص ٥ ،٦ طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية.

– رحمه الله – أول مَن نظم القراءات وكان تلميذه الإمام علم الدين السخاوى – رحمه الله – أول مَن نظم المتشابهات.

٤ – موهبته الفطرية ، وإجادته لفنون الشعر فقد قال الشعر الرائق ومدح السلطان صلاح الدين وغيره بل ورثى نفسه .

أهمية المواضع التى اختارها فى قصيدته

ترجع أهمية تلك المواضع إلى أن مَن اختارها مقرئ أهل الشام وعلّامة الزمان الذى ألف فى جميع علوم القرآن الكريم فقد اختار المواضع التى تشكل على حافظ القرآن الكريم وتصعب عليه حتى لتنقله من موضع لموضع آخرفألف تلك المنظومة الواضحة الألفاظ خدمة لتالى القرآن الكريم لتُيَسِر عليه حفظ كتاب الله تعالى وتثبيته فهى المتشابه بحق فاختياره قائم على تجربة طويلة لعشرات السنين مع آلاف الطلاب هذا مع وضعه لمنهج دقيق سبق به غيره وتميز فيه .

و قد وضح ذلك فى قوله :

أوضعتها مواضعا تخفى على تالى الكتاب وتريح مَن تلا

أما غيره ممن ألفوا فى هذا المجال – توجيه المتشابه اللفظى – فكان اختيارهم بلاغيا فتراهم وجهوا المكرر ومالوا لتوجيه ما تتضح فيه البلاغة حتى وإن لم يشتبه على تالى الكتاب الكريم [١].

فكانت لكتبهم قيمة بلاغية كبيرة لاشك فى ذلك لكنها لم تسعف كثيرا تالى الكتاب الكريم وتعينه فى تثبيت المتشابه لأن اختيارهم لم يقم على نفس التجربة التى عاشها الإمام علم الدين ولا قريبا منها ، بالإضافة لعدم انتشار كتبهم لتصل إلى حفاظ كتاب الله تعالى مع صعوبة أسلوبها وتفرع علومها.

١– مثل ابن الزبير الغرناطى فى كتابه " ملاك التأويل" بدأ بالفاتحة ليتكلم عن بلاغتها وليس فيها متشابه يلتبس على القارئ .

و أما من ألفوا فى هذا العلم فى العصر الحديث فقد اهتموا بالقواعد العامة له دون التطبيق العملى ودون تحديد منهج لاختيار المتشابه.

منهجـــه

أوضحه بقوله :

رتبتها على حروف المعجم فأفصحت عن كل أمر مبهم
فَإِنْ أَرَدْتَ عِلْمَ لَفْظٍ مُشْكِلِ فَانْظُرْ إِلَى الْحَرْفِ الَّذِي فِي الأَوَّلِ
فَإِنَّهُ بَابٌ مِنَ الأَبْوَابِ وَفِيهِ مَا رُمْتَ بِلا ارْتِيَابِ

فإذا أردنا أن نبحث عن موضع من المتشابه :

١ – نجردها من أحرف الزيادة ونبحث عنها فى بابها (الحرف الأول الأصلى). وهذا أيسر على القارئ لأنه يحدد مواضع التشابه ويجمعها فى أبواب.

٢ – لا نجرد الكلمة إذا كان موضع التشابه هو الحرف المزيد ؛ فمثلا : عند البحث عن مواضع (فأنجينا) و(فنجينا) نجده فى باب الهمزة لأن الهمزة الزائدة هى موضع التشابه وليس نون الفعل.و هذا ما قصده الإمام بقوله:

وَلا تَعُدَّ أَوَّلاً مَزِيدَا إلا إِذَا كَانَ هُوَ الْمَقْصُودَا

٣ – عند اختلاف الكلمات المتشابهة فى الأبواب يثبتها الإمام فى أول باب . وهذا ما قصده بقوله:

وَإِنْ تَوَالَتْ كَلِمَاتٌ مُشْكِلَةْ جَمَعْتُهَا فِي بَابِ حَرْفِ الأَوَّلَةْ

لذلك كله أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يوفقنى فى توجيه تلك المتشابهات حتى أجمع بين الحسنيين دقة اختيار المواضع المتشابهة مع حسن الترتيب ، وإظهار بعض الحكمة بتوجيه تلك المواضع وتوضيح أن المتشابه اللفظى من محاسن القرآن الكريم ومن دقائق البلاغة التى لم يدنو منها أحد .هذا مع توضيح جهود هؤلاء العلماء لعلنا نرتبط بهم أو نُذكَر معهم .

تعريف التوجيه

التوجيه لغة :

الوجه :مستقبل كل شيء الجمع أوجه ووجوه ، ومن **الكلام السبيل المقصود** ، وجهه توجيها **أرسله وشرفه** ، والجهة الجانب والناحية ،

و اسم ذلك الفعل التوجيه ، وفى مثل وجّه الحجر وجهة أى **دبر الأمر على وجهه** وأصله فى البناء إذا لم يقع الحجر موقعه أى أدره حتى يقع على وجهه ودعه [١].

"أصل الوجه الجارحة. قال تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ [المائدة/ ٦] ، وَتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ [إبراهيم/ ٥٠] ولمّا كان الوجه أوّل ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن استعمل في مستقبل كلّ شيء، وفي أشرفه ومبدئه، فقيل: وجه كذا، ووجه النهار. "[٢].

فالتوجيه لغة يقصد به :

١ – توضيح السبيل المقصود من الكلام.

٢ – الإرسال والتشريف : ومنه قول الله تعالى :" وكان عند الله وجيها "

٣– الجانب والجهة والناحية : ومنه قول الله تعالى :" ولما توجه تلقاء مدين "

٤ – تدبير الأمر على وجهه : " ومنه قول الله تعالى :" ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها "

وهناك تعريف اصطلاحى لتوجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم يمكن أن نستخلصه من كلام الخطيب الإسكافى فى درة التنزيل وغرة التأويل هو " النظر والروية فى الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة

١– القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ج ٤ ص ٢٨٩،٢٩٠ مادة (وجه) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢– المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ،المحقق: صفوان عدنان الداودي مادة (وجه) ج ١ ص٨٥٥ط: دار القلم دمشق .

و حروفها المتشابهة المنغلقة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها وتخص الكلمة بآياتها دون أشكالها ." [١].

من كل ماسبق يمكن أن نخلص إلى تعريف توجيه المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم بأنه:

توضيح السبيل المقصود من كلام الله تعالى لشرفه بتدبير الأمر على وجهه فى اللغة لبيان بعض الحكمة فى المواضع المتشابهة.

تعريف المتشابه اللفظى لغة: هذا التعريف ينقسم للفظين هما المتشابه، واللفظي .

أولا: تعريف المتشابه لغة

الشّبه بالكسر والتحريك المثل والجمع أشباه ، وشابهه وأشبهه ماثله ، وتشابها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا ، وأمور مشتبهة ومشبَّهة مشكلة ، والشُبهة بالضم الالتباس والمثل ، وشبه عليه الأمر تشبيها لبس عليه [٢].

و" الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفيّة، كاللّون والطّعم، وكالعدالة والظّلم، والشُّبْهَةُ: هو أن لا يتميّز أحد الشّيئين من الآخر لما بينهما من التّشابه، عينا كان أو معنى، قال تعالى: " وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً " [البقرة/ ٢٥] ، أي: يشبه بعضه بعضا لونا لا طعما وحقيقة، وقيل: متماثلا في الكمال والجودة "[٣].

١- درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد الأصبهانى المعروف بالخطيب الإسكافى ج ١ ص ٢١٧ أصل هذا العمل رسالة دكتوراه بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى، مكة المكرمة سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة.

٢- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ج ٤ ص٢٨١ مادة (شبه) .

٣- المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الراغب الأصفهانى مادة (شبه) ج ١ ص٤٤٣.

و نخلص من هذا أن المتشابه يقصد به :

١ – التماثل : ومنه قول الله تعالى : " وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً "

٢ – الالتباس : ومنه قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: "إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا"

٣ – الإشكال : ولعل منه قوله تعالى :" ولكن شبه لهم "

و أرى أنها درجات للتشابه فأدناها التماثل وأعلاها الإشكال .

ثانيا:المعنى اللغوى لكلمة " لفظ "

"(لفظه) و به كضرب وسمع رماه فهو ملفوظ ولفيظ ، وبالكلام نطق كتلفظ . "[١].

فأصل الكلمة يرجع إلى الرمى ، وهنا يرجع إلى النطق لأن اللفظ المنطوق رُمِى من الفم ، فالذى نقصده هنا هو ما تشابه من مواضع القرآن الكريم من حيث اللفظ المنطوق لا من حيث المعنى تميزا للمتشابه اللفظى عن المتشابه المعنوى .

المتشابه اللفظى عند الإمام علم الدين السخاوى

ذكره فى مواضع من قصيدته بألفاظ هى : (اشتباه الكلم ، لفظ مشكل، حرف أشكل، كلمات مشكلة ، تشكل.) فقال :

وَقَدْ نَظَمْتُ فِي اشْتِبَاهِ الْكَلِمِ أُرْجُوزَةً كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنَظَّمِ

فالملاحظ أنه استخدم لفظ الإشكال للتعبير عن المتشابه اللفظى ، ولعل هذا يرجع إلى دقة وخفاء تلك المواضع بدليل قوله :

أَوْدَعْتُهَا مَوَاضِعًا تَخْفَى عَلى تَالِي الْكِتَابِ وَتُرِيحُ مَنْ تَلا

تعريف المتشابه اللفظى اصطلاحا

ذكره الإمام جلال الدين السيوطى بعنوان الْآيَاتِ الْمُشْتَبِهَاتِ فقال: وَالْقَصْدُ بِهِ إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ بَلْ تَأْتِي فِي

١– القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ج٢ ص ٣٦٩ مادة (لفظ) .

مَوْضِعٍ وَاحِدٍ **مُقْدَّمًا** وَفِي آخَرَ مُؤَخَّرًا كَقَوْلِهِ فِي الْبَقَرَةِ: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ) وَفِي الْأَعْرَافِ: (وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً) ، وَفِي الْبَقَرَةِ: (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) وَسَائِرِ الْقُرْآنِ (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)

أَوْ فِي مَوْضِعٍ **بِزِيَادَةٍ** وَفِي آخَرَ بِدُونِهَا نَحْوَ: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنْذَرْتَهُمْ) في البقرة وَفِي يس (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنْذَرْتَهُمْ) ، وَفِي الْبَقَرَةِ (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) وفي الأنفال (كُلُّهُ لِلَّهِ) أَوْ فِي مَوْضِعٍ **مُعَرَّفًا** وَفِي آخَرَ مُنَكَّرًا أَوْ **مُفْرَدًا** وَفِي آخَرَ جَمْعًا أَوْ بِحَرْفٍ وَفِي آخَرَ **بِحَرْفٍ آخَرَ** أَوْ **مُدْغَمًا** وَفِي آخَرَ مَفْكُوكًا وَهَذَا النَّوْعُ يَتَدَاخَلُ مَعَ نَوْعِ الْمُنَاسَبَاتِ." [١].

ومثل هذا التعريف ذكره الإمام الزركشى فى كتابه البرهان فى علوم القرآن إلا أنه لم يذكر أنواع المتشابه مرتبطة بالتعريف فقال :

" وَهُوَ إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ وَيَكْثُرُ فِي إِيرَادِ الْقَصَصِ وَالْأَنْبَاءِ." [٢].

ولا يقصد بالقصة هنا ما يكون فى قصص الأنبياء ونحوه فقط ، إنما المقصود القِطَع والأمور المختلفة بدليل الأمثلة التى ذكرها ، وبدليل معنى القصة لغة ، فقد ذكر العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى فى القاموس المحيط فى مادة (قصَّ): " نحن نقص عليك أحسن القصص **نبين** لك أحسن البيان ....و قصَّ الشعر والظفر **قطع** منهما .... والقِصَّة والزاملة **الصغيرة** و**الطائفة المجتمعة فى مكان** .... والقِصَّة بالكسر **الأمر** و**التى تكتب** ." [٣].

١- الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى ج٢ ص١٨٥ طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية.

٢- البرهان في علوم القرآن لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ج١ص١١٢ط: دار إحياء الكتب العربية.

٣- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ج ٢ ص٣١١ مادة (قصَّ).

و يـذكر أحـد البـاحثين تعريفـا للمتشـابه اللفظـى فـى القـرآن الكـريم فيقول :

" هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة،وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان [١]."

و الملاحظ أن هذه التعاريف تذكر أنواع المتشابه اللفظى لتوضح المقصود منه لا لتضع له تعريفا دقيقا.

وهناك تعريف اصطلاحى للمتشابه اللفظى فى القرآن الكريم يمكن أن نستخلصه من كلام الخطيب الإسكافى فى درة التنزيل وغرة التأويل هو " الآيات المتكررة بالكلمات المختلفة وحروفها المتشابهة المنغلقة ولم يرفع لبس إشكالها." [٢].

ويمكن أن نضع تعريفا مما سبق للمتشابه اللفظى بأنه :

المواضع المتماثلة فى القرآن الكريم التى يشبه كل منها الآخر فى لفظ أو أكثر فتلتبس على القارئ ، وتشكل عليه ، وتَخفَى الحكمة فى ذلك.

والإمام السيوطى – رحمه الله – عندما ذكر تعريف المتشابه اللفظى ذكر أنواعه أيضا .

١- درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ، وهو من ذكر ذلك التعريف ج ١ص ٥٥.

٢- درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد الأصبهانى المعروف بالخطيب الإسكافى ج ١ ص ٢١٧.

أنواع المتشابه اللفظى

أولا: فى التراكيب :

١ – التقديم والتأخير

وهو ما يقصده بقوله: تَأْتِي فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مُقَدَّمًا وَفِي آخَرَ مُؤَخَّرًا كَقَوْلِهِ تعالى فِي سورة الْبَقَرَةِ: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ) وَفِي الْأَعْرَافِ: (وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً) ، وَفِي الْبَقَرَةِ: (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) وَسَائِرِ الْقُرْآنِ (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) .

٢ – الذكر والحذف

وهو ما يقصده بقوله: " أَوْ فِي مَوْضِعٍ **بِزِيَادَةٍ** وَفِي آخَرَ بِدُونِهَا نَحْوَ قَوْلِهِ تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنْذَرْتَهُمْ) في البقرة وَفِي يس :(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنْذَرْتَهُمْ) ، وَفِي الْبَقَرَةِ (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) وفي الأنفال (كُلُّهُ لِلَّهِ) "

ثانيا: فى الكلمات :

١ – التعريف والتنكير : وهو ما يشير إليه بقوله :" أَوْ فِي مَوْضِعٍ مُعَرَّفًا وَفِي آخَرَ مُنَكَّرًا." ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة: (بلدا ءامنا) تشابه مع قوله تعالى : (البلد ءامنا) فى سورة إبراهيم .

و يلحق به الاختلاف فى نوع التعريف مثل الاختلاف بين (آياته) ، و(الآيات) فالأول معرف بالإضافة والثانى معرف ب (أل).

٢ – الإفراد والجمع : وهو ما يشير إليه بقوله :" أَوْ مُفْرَدًا وَفِي آخَرَ جَمْعًا" ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف: (فى دارهم جثمين) تشابه مع قوله تعالى: (فى ديارهم جثمين) فى سورة هود .

٣ – الإبدال : وهو ما يشير إليه بقوله :" أَوْ بِحَرْفٍ وَفِي آخَرَ بِحَرْفٍ آخَرَ"، ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة: (فأنزلنا على الذين ظلموا) تشابه مع قوله تعالى (فأرسلنا عليهم) فى سورة الأعراف .

٤ – الإدغام والفك : وهو ما يشير إليه بقوله :" أَوْ **مُدْغَمًا** وَفِي آخَرَ مَفْكُوكًا " ، ومثال ذلك قوله تعالى (يشاقق) فى سورة النساء تشابه مع قوله تعالى فى سورة الحشر : (يشاق) .

٥ – التذكير والتأنيث : وهذا النوع لم يذكره الإمام السيوطى .

ومنه قوله تعالى : (و أخذ الذين ظلموا الصيحة) تشابه مع قوله تعالى (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) كلاهما فى سورة هود.

٦ – اختلاف زمن الفعل : وهذا النوع من الاختلاف لم يذكره أحد غير الإمام علم الدين السخاوى بقوله :

نسلكه مستقبـــــلا أتاكا فى صورة الحجر فخذ بذاكا[١].

وهو يقصد قول الله تعالى (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين (١٢)) سورة الحجر جاء الفعل مستقبلا أى مضارعا بينما فى سورة الشعراء (كذلك سلكنه فى قلوب المجرمين (٢٠٠)) بصيغة الماضى .

٧ – اختلاف معنى الحرف : وهذا النوع استنبطته من تأمل مواضع الاختلاف المذكورة فى القصيدة ، ومثاله : قول الله تعالى (ليفتدوا به) [المائدة:٣٦] معنى اللام هنا التعليل ، بينما فى باقى المواضع معناها التوكيد مثل قول الله تعالى (لافتدوا به) [الزمر: ٤٧] . وهذا المثال يختلف أيضا فى زمن الفعل.

٨ – اختلاف صيغة الفعل : مثل الاختلاف بين نزل وأنزل ، ونجى وأنجى .

٩ – اختلاف نوع الجمع : مثل الاختلاف بين النبيين والأنبياء.

١– قصيدة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب البيت رقم ٣٤٩ ط دار الصحابة للتراث بطنطا.

مصطلحات الإمام علم الدين السخاوى

أولا: التقديم :

ذكره بألفاظ عديدةهى: (من قبل ، قدمه ، قدما ، قدموه ، مقدم ، قدم ، قبله ، سابقا .)

ثانيا : التأخير:

ذكـره بألفـاظ عديـدةهى: (يـؤخر ، أخـر ، أخـره ، لاحقـا ، مـؤخر ، أخروه.) وإذا ذكر لفظ اعكسه ، بعكس فالمقصود التأخير.

ثالثا: الذكر أو الإثبات أو الزيادة:

وألفاظها هى : (زائدة ، استقرا ، موضوعة ، زائد ، زده ، ثابتة ، زد.)

رابعا : الحذف :

وألفاظه هى الأكثر (حذفه ، دع ، بحذف ، فاحذفوا ، بغير ، وحذفها ، حذف ، بلا ، لم يقع ، ليس قبله ، ماذكرا ، احذفه ، احذف ، قد سقط)

خامسا: التعريف: له لفظ واحد هو (معرفا).

سادسا: التنكير : له لفظان هما (منكرا ، نكرة)

سابعا : الإفراد: له لفظان هما (مفرد ، الإفراد)

ثامنا: الجمع: وألفاظه هى (مجموعا ، جمعا ، بالجمع.)

تاسعا: الإبدال : له لفظ واحد هو (شابهه)

عاشرا: الإدغام: له لفظ واحد هو (مدغم)

حادى عشر: التذكير: له لفظ واحد هو (بالتذكير)

ثانى عشر: اختلاف زمن الفعل : له لفظ واحد هو (مستقبـلا) .

ومن استقراء تلك المصطلحات يتبين لنا أن الإمام علم الدين السخاوى ذكر فى قصيدته كل أنواع المتشابه بل وزاد عليها ما لم يذكره غيره من العلماء.

المواضع المتشابهة وتوجيهها

باب الهمـــزة

الموضع الأول [١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ [البقرة:٥٩]

تشـــــابه مع قوله تعالى :﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٦٢ ﴾[الأعراف: ١٦٢]

موضع التشابه : ﴿فَأَنزَلۡنَا﴾ فى سورة البقرة ، و﴿ فَأَرۡسَلۡنَا ﴾ فى سورة الأعراف .(اختلاف اللفظ).

وتوجيه ذلك بوجوه منها:

الوجه الأول :

سورة الأعراف كثر فيها ورود مادة [٢]. (رسل) أكثر من سورة البقرة حيث وردت فى سورة البقرة فى ثمان عشرة موضعا كلها بمعنى إرسال الرسل فقط إما خاصة بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – أو عامة فى جميع الرسل [٣]، بينما وردت فى سورة الأعراف فى ثلاثين موضعا تتنوع معانيها فتشمل:

١- أشار الإمام علم الدين السخاوى لذلك بقوله:

وَاقْرَأْ (فَأَنْزَلْنَا) بِآيِ الْبَقَـــــرَةْ (عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) مُخــبِرَةْ
لَكِنْ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ) جَاءَ فِي سُورَةِ الاعْرَافِ يَقِينًا فَاعْرِفِ
وَآخِرُ الآيَةِ (يَفْسُقُونَـــــــا) فِيهَا وَفِي الأعْرَافِ (يَظْلِمُونَا)

٢- مادة الكلمة المقصود بها الحروف الأصلية للكلمة بغير زيادة، وهى إما ثلاثة حروف وهذا الأكثر ، وقد تكون أربعة حروف.

٣- هذه المواضع هى : أرسلنا ، أرسلناك ، رسول ، رسولا ، رسولكم ، رسوله ، رسل ، رسله ، مرسلين.

١ – التوجيه والإ رسال : وهنا يتنوع المقصود بها فيشمل :

أ – الرسالة : وذلك فى ألفاظ (رسالة ، ورسالات ، وبرسالاتى)

و هذه الألفاظ الثلاث انفردت بها السورة دون غيرها من سورالقرآن الكريم .

ب – رسول محدد : نوح ، وصالح ، وهود ، وشعيب ،

و موسى ، ومحمد – عليهم جميعا الصلاة والسلام – .

جـ – عامة فى أى رسول .و ذلك منه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥)﴾

د – ملائكة الموت : وذلك فى موضع واحد هو : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)﴾

هـ – الرياح : وذلك أيضا فى موضع واحد هو :﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾

٢ – الإطلاق : ومواضعه فى السورة الكريمة ثلاثة هى:

الأول :﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥)﴾

الثانى :﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١)﴾

الثالث : ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤)﴾

٣ – التسليط : وتكون فى العذاب ، ووردت فى موضعين هما :

الأول : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)﴾

والثانى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)﴾ وهو آخر المواضع بالسورة وهو الموضع المقصود .

من هذا يتضح لنا أن سورة الأعراف وردت فيها مادة (رسل) بجميع معانيها فى اللغة باستثناء الإهمال، حيث ورد فى القاموس المحيط فى مادة (رسل) " الإرسال : التسليط والإطلاق

والإهمال والتوجيه ، والاسم الرسالة بالكسر والفتح ." [١].

وأما مادة (نزل) فوردت فى سورة البقرة فى ستة وعشرين موضعا بينما وردت فى سورة الأعراف فى ثمانية مواضع فقط.

معنى (نزل) " النزول الحلول ، ونزل حلَّ ، وتنزّل نزل فى مهلة ، والنُزُل المنزل وما يهيأ للضيف ، وأرض نزلة زاكية الزرع . "[٢].

الوجه الثانى :

لفظ "أنزلنا "مناسب لذكر النعم فى سورة البقرة فذكره ألطف لأن الله كان يذكرهم بنعمه عليهم لا بعذابهم فتكرر فى السورة قوله تعالى:

﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ فناسبه تكرارأنزلنا لأن وروده فى السورة كان من باب التذكير بنعم الله عليهم .

أما لفظ " أرسلنا فإنه أشد من أنزلنا لأنه يستخدم بمعنى التسليط فهو مناسب لذكر التوبيخ لعبادتهم العجل وكثرة معاصيهم الواردة فى سورة الأعراف ، وجهلهم .

حيث بدأ الحديث فيها بقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾

١- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ج ٣ ص٣٧٢ مادة (رسل) .
٢- القاموس المحيط ج ٤ ص٥٦ مادة (نزل).

و فى ذلك يقول الإمام السيوطى – رحمه الله – :

"وَنُكْتَتُهُ أَنَّ آيَةَ الْبَقَرَةِ في معرض ذكر النعم عليهم حيث

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾[البقرة: ٤٧]

وَآيَةُ الْأَعْرَافِ افْتُتِحَتْ بِمَا فِيهِ تَوْبِيخُهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُمْ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]

وتَبْعِيضُ الْهَادِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ نَاسَبَ تَبْعِيضَ الظَّالِمِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْبَقَرَةِ مِثْلُهُ فَتُرِكَ وَفِي الْبَقَرَةِ إِشَارَةٌ إِلَى سَلَامَةِ غَيْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا لِتَصْرِيحِهِ بِالْإِنْزَالِ عَلَى الْمُتَّصِفِينَ بِالظُّلْمِ وَالْإِرْسَالُ أَشَدُّ وَقْعًا مِنَ الْإِنْزَالِ فَنَاسَبَ سِيَاقَ ذِكْرِ النِّعْمَةِ فِي الْبَقَرَةِ ذَلِكَ وَخَتَمَ آيَةَ الْبَقَرَةِ بِـ ﴿يَفْسُقُونَ﴾ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الظُّلْمُ وَالظُّلْمُ يَلْزَمُ مِنْهُ الْفِسْقُ فَنَاسَبَ كُلُّ لَفْظَةٍ مِنْهَا سِيَاقَهُ." (١).

الخلاصة :

آيات سورة البقرة فيها خطاب لهم وتذكير بنعم الخالق فألفاظها ألطف (رغدا ، فأنزلنا ، يفسقون) وفيها تحديد مَن نزل عليهم الرجز ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وفيها الواو ﴿سنزيد المحسنين﴾وهى تفيد الجمع بين المغفرة والزيادة وهذا تكريم لهم.

أما سورة الأعراف فهى تقصُّ ما فعلوه ففيها توبيخ لهم على أفعالهم فألفاظها أشد (فأرسلنا ، يظلمون) ، وفيها التبعيض (ظَلَمُوْا مِنْهُم) موافقة لقوله (ومِنْ قَوْمِ مُوْسَى) ولقوله (مِنْهُمُ الصَّالِحُوْنَ ومِنْهُم دُوْنَ ذَلِكَ) وفيها حذف

١- الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى ج٢ ص،١٨٦،١٨٧ .

الواو فى قوله تعالى :﴿سنزيد المحسنين ﴾لأن الواو تدل على الجمع بين المغفرة والزيادة ، والجمع فيه إكرام لهم فحُذف .

الموضع الثانى[١].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤]

تشابه مع قوله تعالى :﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

موضع التشابه: فى سورة ص ﴿ أبى ﴾ ما ذكر(حذف). **وتوجيه ذلك بوجوه منها:**

الوجه الأول:

مادة (أبى) وردت فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة [٢]. ثلاثة منها فى سورة البقرة ، وهى : الموضع المذكور وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ ولم يَرِد من مادة (أبى) شىء فى سورة ص .

الوجه الثانى :

سورة البقرة ذُكرت فيها قصة آدم بالإطناب (التفصيل) ، وموقف إبليس بالإجمال فذكر الله فيها الحوار مع الملائكة ، وتعليم آدم الأسماء ، وهذا مناسب لأنها أطول سور القرآن الكريم ، وثانى سورة فى ترتيب المصحف. وعندما تحدثت الآيات عن إبليس ذكرت أفعاله الثلاث ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ذُكرت فيها بالإجمال دون التفصيل لكل فعل .

١- أشار الإمام علم الدين السخاوى لذلك بقوله:

وَجَاءَ (إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَا) فِيهَا وَفِي صَادٍ (أَبَى) مَا ذُكِرَا

٢- هذه المواضع هى : سورة البقرة ٣٤ ، ٢٨٢ موضعان – التوبة ٨ ،٣٢ – الحجر ٣١ سورة الإسراء ٨٩ ،٩٩ – الكهف ٧٧ – طه ٥٦ ،١١٦– سورة الفرقان ٥٠ – الأحزاب٧٢.

أما سورة ص فالمقام فيها مختلف فهى تَذكر تكبُّر الكفار فى قوله تعالى: ﴿ بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ﴾ [1]الآية:٢، وتذكره بالتفصيل فناسب ذلك ذكر استكبار إبليس فى قصة آدم ، وذكر مصير كل متكبر ، كما أن لفظ ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ مناسب لما بعده ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ الآية ٧٥، ونزول سورة البقرة كان بعد نزول جميع السور التى ذكرت قصة امتناع إبليس عن السجود ، فأجملت فيها المواقف .

يقول الإمام : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة فى كتابه " كشف المعانى فى المتشابه من المثانى "

قوله تعالى: " أبى واستكبر وكان من الكافرين " فجاء هنا مجملا وفى بقية السور مفصلا.

جوابه:

لما تقدم التفصيل في السورة المكية أجمله في السورة المدنية وهي البقرة اكتفاء بما تقدم علمه من التفصيل في المكيات [2].

وإتماما للفائدة أذكر هذين الموضعين :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١ ﴾ [الحجر: ٣١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ طـــه ١١٦ ، ناسب هنا ذكر ﴿ أَبَىٰٓ ﴾ لأنه سبق ذكره فى نفس السورة فى موقف فرعون من آيات الله فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦)﴾ والمقام مقام تفصيل لموقف ومصير كل من امتنع عن أمر الله .

١- قال الإمام ابن كثير: "**(فى عزة) أى استكبار عنه وحمية.ج٤ ص٢٤ ط: دار الخير، وقال الإمام جلال الدين السيوطى فيها: حمية وتكبر عن الإيمان**" ص: ٥٣٧ ط: قطاع المعاهد الأزهرية .

٢- كشف المعانى فى المتشابه من المثانى،المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف ج١ ص٩٢. ط: دار الوفاء . المنصورة.

ومما لاحظته :

١ – قولـه تعـالى : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ ذُكـر فـى ثـلاث سـور هـى البقـرة ، والحجـر، وطـه ، وجميـع هـذه المواضـع سـبقت بوصـف الله – سـبحانه وتعـالى – بـالعلم ، ففـى سـورة البقـرة ﴿ علم ءادم الأسماء كلها ﴾ الآيـة٣١ ، و ﴿ إنك أنت العليم الحكيم ﴾ الآية ٣٢.

و فى سورة الحجر ﴿ إنه حكيم عليم ﴾ الآيـة ٢٥، وفـى سورة طـه ﴿ وسع كل شىء علما ﴾ الآية ٩٨ ، و﴿ وقل رب زدنى علما﴾ الآية,١١٤

٢ – جميـع هـذه المواضـع يـذكر معهـا التسـبيح بحمـد الله ، ففـى سـورة البقـرة ﴿ونحـن نسـبح بحمـدك ونقـدس لـك﴾ الآيـة ٣٠، وفـى سـورة الحجـر ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ الآيـة ٩٨ ، وفـى سـورة طـه ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا وَمِنۡ ءَانَآئِ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ الآيـة (١٣٠) فـالله العلـيم يسـبح بحمـده الملائكـة والمؤمنـون أمـا إبليس وأعوانه فيمتنعون عن طاعته.

الموضع الثالث[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[البقرة: ١٣٦]

. تشابه مع قوله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ

١- وَمَعْ (وَمَا أُنزِلَ) قُلْ (إِلَيْنَا) وَآلُ عِمْرَانَ بِهَا (عَلَيْنَا)

وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٤]

موضع التشابه: قوله تعالى:﴿ إِلَيْنَا ﴾تشابه مع قوله تعالى :﴿عَلَيْنَا﴾ **و توجيه ذلك**

قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا..) اختيرت فيها (إلى) لأن الآية بدأت بخطاب المسلمين (قولوا)، فوجب أن يختار لها إلى، ثم جعل ما عطف عليه على لفظه ، لأن معنى (إلى) **الانتهاء**، فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما أنزل على الأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه – ، ثم **انتهى من عندهم إلي المؤمنين**، فلما كان (قولوا) خطابا لغير الأنبياء وكان لأمتنا كان اختيار إلى أدق من اختيار على.

ولما كانت آية سورة آل عمران قد بدأت بما هو خطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، وهو قوله: (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) كانت (على) أحق بهذا المكان، لأن الوحي أنزل عليه. وفي لفظة (على) دلالة **انفصال الشيء من فوق إلى أسفل** [١].

الموضع الرابع[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[البقرة: ١٩١]

١- درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي . دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ج ١ص ٣٠٠ ،٣٠١. بتصرف يسير.

٢- وَجَاءَ (وَالْفِتْنَةُ) فِيهَا (أَكْبَرُ) وَهْوَ بِهَا الْحَرْفُ الَّذِي يُؤَخَّرُ
وَقَبْلَهُ (أَشَدُّ) أَعْـــنِي الأَوَّلا لا تَسْتَـــرِبْ فَإِنَهُ قَدِ انْجَلا

تشابه مع قول الله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]

موضع التشابه : قول الله تعالى :﴿ أَشَدُّ ﴾ تشابه مع قول الله تعالى :﴿ أَكْبَرُ ﴾ اختلاف اللفظ .

و توجيه ذلك بوجوه منها:

الوجه الأول :

مادة (شدَّ) وردت بمشتقاتها فى سورة البقرة ثمان مرات :

(شديد) ثلاث مرات فى الآيات: ١٦٥، ١٩٦، ٢١١ وكلمة (أشد) خمس مرات فى الآيات : ٧٤ ، ٨٥ ، ١٦٥ ، ١٩١ ، ٢٠٠ .

أى أنها لم تذكر بعد الآية:٢١١ . فالمادة الواحدة تتقارب مشتقاتها فى مواضعها فى السورة ، فقوله تعالىاً :﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ موافق لقوله تعالى: ﴿ أشد حبا ﴾ قبله ، ولقوله تعالى ﴿ أشد ذكرا ﴾ بعده.

أما كلمة أكبر فوردت فى سورة البقرة ثلاث مرات فى الآيتين: ٢١٧ موضعان ، وفى الآية: ٢١٩ موضع ، يجاورها كلمة كبير فى موضعين فى نفس الآيتين ، وهذا من الموافقة فى اختيار الألفاظ .

الوجه الثانى :

الفتنة فى الموضع الأول هى **الشرك فى الحَرم** ، أو هى بقاء المشركين على شركهم [١]. فهى أمر شديد القبح ، والفتنة فى الموضع الثانى هى **تعذيب المشركين للمؤمنين وصدهم عن دين الله** فهى أكبر من القتل ،

١- قال الحافظ ابن كثير فى كتابه تفسير القرآن العظيم:"(**والفتنة أشد من القتل**) **يقول الشرك أشد من القتل**."ج١ ص١٩٨ ط دار الخير بيروت.

وأكبر من الفتنة الأولى لاشتمالها على الفتنة الأولى (الشرك) وزيادة عليها تعذيبٌ للمؤمنين وصدهم عن دين الله.

يقول العلامة شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي فى تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني":

" وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ أي شركهم في الحرم أشد قبحا فلا تبالوا بقتالهم فيه لأنه ارتكاب القبيح لدفع الأقبح فهو مرخص لكم ويكفر عنكم. والجملة من باب التكمل والاحتراس لقوله تعالى: (وَاقْتُلُوهُمْ) لدفع توهم أن القتال في الحرم قبيح فكيف يؤمر به . وأصل- الفتنة- عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش ثم استعمل في الابتلاء والعذاب والصد عن دين الله والشرك به، وبالأخير فسرها أبو العالية في الآية." (١).

و يقول فى تفسير الموضع الثانى :

" وفي رواية الزهري عن عروة أنه لما بلغ كفار قريش تلك الفعلة (قتل المسلمين فى سرية نخلة لابن الحضرمى - باجتهاد منهم - وكان فى أول رجب) ركب وفد منهم حتى قدموا على النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - فقالوا: أيحل القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله تعالى الآية ، ومن هنا قيل: السائلون هم المشركون، وأيد بأن ما سيأتي من ذكر الصد والكفر والإخراج أكبر شاهد صدق على ذلك ليكون تعريضا بهم موافقا لتعريضهم بالمؤمنين. "(٢).

الوجه الثالث :

الآية الأولى نزلت فى قتال المشركين – من أول ما نزل فى القتال – فالقتال يناسبه الشدة (القوة) ، فجاءت كلمة أشد فى موضعها مناسبة لقوله تعالى: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾.

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ،المحقق: علي عبد الباري عطية ج ١ ص٤٧١ ط:دار الكتب العلمية – بيروت.
٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ١ ص٥٠٢.

أما الآية الثانية فنزلت فى فعل كبير (عظيم) وهو القتال فى الشهر الحرام ، وتعيير المشركين للمسلمين بأنهم قتلوا فيه فنزلت ردا لقولهم فإخراجهم للمسلمين وفتنتهم عن دينهم أكبر، فجاءت كلمة أكبر مناسبة فى موضعها لقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾

الموضع الخامس(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ورد فى أربع مواضع فى القرآن الكريم هى:

١ - ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٢]

٢ - قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣]

٣ - قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[المائدة: ٨٩]

---

١ – (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِـهِ) فِي أَرْبَعٍ لا رَيْبَ فِي إِثْبَاتِهِ
أَوَّلُهَا الثَّانِي الَّذِي فِي الْبَقَرَةْ وَآلُ عِمْرَانَ بِحَرْفٍ مُسْفِرَةْ
وَثَالِثُ النُّورِ وَحَرْفُ الْمَائِدَةْ دُونَكَهَا مِنْ تُحْفَةٍ وَفَائِدَةْ –.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النور: ٥٩]

تشابهت مع قول الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ فى سورتى :البقرة ٢١٩ ، ٢٦٦- وسورة النور: ٥٨ ،٦١

و قوله تعالى:﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة النور. الآية ١٨]

موضع التشابه قول الله تعالى: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ تشابه مع قول الله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ﴾ **الأول معرف بالإضافة للضمير العائد على الخالق والثانى معرف بأل و توجيه ذلك بوجوه منها:**

الوجه الأول :

الأفعال التى تختص بقدرة الله تعالى ولم يقدر فاعل على مثلها ، وليست إلا لله تعالى أضافها لنفسه فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾

- فآية سورة البقرة وردت بعد الحديث عن **الموت** وعدة المتوفى عنها زوجها.

و هى قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)﴾[سورة البقرة]

- وختام آية سورة آل عمران ورد بعد الحديث عن **الموت على الإسلام** ، والحديث عن حبل الله – وهو **القرآن** على الأرجح – ، والحديث عن **تأليف الله لقلوب الأوس والخزرج** بعد أن كانوا أعداء. وهى قول الله

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾[سورة آل عمران]

- وختام آية سورة المائدة ورد بعد الحديث عن تحريم ما أحل الله ، والحديث عن **الرزق** ، وكفارة اليمين . وهى قول الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾ سورة المائدة.
- وختام آية سورة النور ورد بعد الحديث عن **بلوغ الأطفال الحلم** ، ولما كان بلوغ الحلم مما يختص الله بفعله ، ولم يقدر فاعل على مثله أضافه لنفسه فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[١].

فالإماتة ، وتأليف القلوب ، والرزق ، وبلوغ الأطفال الحلم أمور لم يَدَّعِ أحد القيام بها ، ولاتنسب إلا لله وحده .

أما باقي المواضع فهى آيات لاتختص بقدرته تعالى [٢].

الوجـــه الثـــانى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ تـرد بعـد الأوامر والنواهى وذكر الحلال والحرام ، وهذا ما أشار إليه الإمام ابن كثير عند تفسيره لآية سورة البقرة فقال : " أى فى إحلاله وتحريمه فروضه وحدوده فيما أمر ونهى بينه ووضحه وفسره ولم يتركه مجملا فى وقت احتياجكم إليه " [٣].

١- درة التنزيل وغرة التأويل لأبى عبد الله محمد الأصبهانى المعروف بالخطيب الإسكافى تحقيق الأستاذ الدكتور سامى عبد الفتاح هلال عميد كلية القرآن الكريم – جامعة الأزهر ج:٢ ص:٣٧٧ ط: مكتبة التقوى الحديثة.

٢- المرجع السابق ج:٢ ص:٣٧٧.

٣- تفسير ابن كثير للإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير ج ١ ص٢٦١ ط : دار الخير بيروت.

الوجه الثالث :ً الآياتً هى ما يمكن الوقوف عليها (معرفتها بيسر) **أما**ً آياتهً فهى مالا يمكن الوقوف عليها بيسر، وهذا ما أشار إليه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى فقال : " قوله: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأطفال﴾ ختم [الآية] بقوله: ﴿ كذلك يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ وقبلها وبعدها ﴿ لَكُمْ الآيَاتِ﴾؛ لأَنَّ الذى قبلها والذى بعدها يشتمل على علامات يمكن الوقوف عليها. وهى فى الأُولى ﴿ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صلاة الفجر وَحِينَ تَضَعُونَ ثيابكم مِّنَ الظهيرة وَمِن بَعْدِ صلاة العشآء﴾ وفى الأُخرى ﴿ مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الآية فعدّ فيها آيات كلُّها معلومة، فختم الآيتين بقوله ﴿ لَكُمُ الآيات﴾ . ومثله ﴿ يَعِظُكُمُ الله أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ الله لَكُمُ الآيات﴾ يعنى حَدّ الزَّانين وحدّ القاذفين، فختم بالآيات. وأَمَّا بلوغ الأَطفال فلم يذكر له علامات يمكن الوقوف عليها، بل تفرّد سبحانه بعلم ذلك، فخصّها بالإضافة إلى نفسه، وختم كلّ آية بما اقتضاها أَوّلها.″ [١].

الموضع السادس[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾ [آل عمران: ٥]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزلمجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ج ١ ص ٣٣٨ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٢ – وَجَاءَ ذِكْرُ الأَرْضِ مِنْ قَبْلِ السَّمَا ... فِي خَمْسَةٍ حَقَّقَهَا مَنْ فَهِمَا
مِنْ بَعْدِ (لا يَخْفَى عَلَيْـــهِ) مَرَّةْ ... وَبَعْدَ لا (يَعْزُبُ) عَنْهُ (ذَرَّةْ)
وَبَعْدَ (مِمَّنْ خَلَـــــقَ) اسْتُبِينَا ... وَبَعْدَ (مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِـزِينَا)
فِي يُونُسٍ وَآلِ عِمْـــــرَانَ وَفِي ... طَه وَإِبْرَاهِيمَ قَبْلُ فَاكْشِفِ
وَالْعَنْكَبُـوتُ جَاءَ فِيهَا الْخَامِسُ ... بِهِ انْجَلَتْ لِلْقَارِئِ الْحَنَادِسُ

مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس: ٦١]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٨]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ [طه: ٤]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢١ ، ٢٢]

هذه المواضع قُدم فيها لفظ الأرض على السماء أو السموات(عطفت السماء على الأرض) دون غيرها من مواضع القرآن الكريم ، فموضع التشابه هو تقديم ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾

و توجيه ذلك بوجوه منها:

الوجه الأول :

الأفعال المذكورة فى الآيات تتطلب تقديم الأرض لأنها وردت فى القرآن الكريم مقترنة بذكر الأرض أو أهل الأرض .

١ – الفعل يخفى ورد فى القرآن الكريم مع النفوس أو الصدور أو الناس وكلها فى الأرض .

قال الله تعالى :﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾[آل عمران : ١٥٤].

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾[النساء : ١٠٨]

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المائدة :٢٨].

﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[إبراهيم : ٣٨]

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[غافر:١٩]

والخفاء أشد عندما يكون فى صدور الناس ونفوسهم (الخفاء المعنوى) وهذا فى الأرض .

٢ – كلمة معجزين كثيرا ما ترد فى كتاب الله مع الأرض .

قال الله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾ [هود].

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧) ﴾ [النور].

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) ﴾ [الشورى]

ومن يظن فى نفسه أنه يعجز الله إنما هو من أهل الأرض .

٣ – الفعل يعزب يحمل معنى قريبا من الفعل يخفى [١]فهو مثله فقدمت الأرض فى سورة يونس لأن الكلام فيها عن شهادة الله لأحوال أهل الأرض وأعمالهم بقوله تعالى :

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ وأعمالهم تكون فى الأرض .

أما سورة سبأ فالكلام فيها عن نفى المشركين للساعة ويأتى أمرها من السماء [٢]فقدمت السماء على الأرض فيها .

١– **العزوب : هو البعد مع تنح وشرود وقيل ما يغيب ، أما الخفاء فهو الاستتار فخفى : لم يظهر وقد يكون الشيء خافيا وهو قريب ، أما الشيء إن لم تقدر عليه وبعد فقد عزب.القاموس المحيط مادة (عزب) بتصرف يسير.**

٢– **أى النفخ فى الصور والفزع والصعق لقوله تعالى : (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين) [النمل ٨٧]**

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) ﴾ [سبأ].

٤ - قوله تعالى : ﴿إلا تذكرة لمن يخشى (٣)﴾ [طه] لا تكون التذكرة إلا فى الأرض فى الحياة الدنيا ولا تكون فى الآخرة .

الوجه الثانى

هذه الآيات ورد معها حديث عن الأرض أو أهل الأرض وحديث عن تنزيل القرآن الكريم وهو منهج لأهل الأرض، وجاءت فى سياق تهديد وتحذير للكفار فاقتضى ذلك ذكر محله وهو الأرض.

ففى سورة آل عمران ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام ﴾ والأرحام فى الأرض .

وفى سورة يونس ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ وتلاوة القرآن الكريم والأعمال تكون فى الأرض.

وفى سورة إبراهيم كان الداعى (إبراهيم)– عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – فى الأرض.

وفى سورة طه نزول القرآن على نبينا – صلى الله عليه وسلم – وهو المخاطب بالآيات كان فى الأرض.

و موضع العنكبوت قبله قوله تعالى : ﴿ قل سيروا فى الأرض ﴾ [الآية: ٢٠]

و بالنظر فى هذه السور التى تقدم فيها ذكر الأرض على السماء وجدت أنه عند الحديث عن علم الله تعالى أو تسليم المخلوقات له أو عرض الجنة واتساعها أو ملكه أو خلقه أو رزقه يُقدم ذكر السموات على الأرض لأن خلق السموات أكبر فتقديمها فى هذه المواضع أنسب، ومن هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾ [ءال عمران].

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ **[ءال عمران].**

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ [ءال عمران].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ [ءال عمران].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾**[يونس].**

﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)﴾ [إبراهيم].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦)﴾[طه]

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤)﴾[العنكبوت]

الموضع السابع[١].

قول الله تعالى :﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾**[البقرة :٦١]**

تشابه مع قول الله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٢]

١- (وَيَقْتُلُونَ الأنْبِيَاءَ) الثَّانِي ... بِآلِ عِمْرَانَ مِنَ الْقُرْآنِ

موضع التشابه:(النبيين) تشابه مع قوله تعالى : (الأنبياء) ، وكذلك قوله تعالى (الحق) تشابه مع قوله تعالى (حق) والاختلاف هنا فى صيغة الجمع وفى التعريف والتنكير.

و توجيه ذلك

الوجه الأول

فى آيات سورة البقرة تلطف فى الحوار مع بنى إسرائيل وتذكير الله لهم بنعمه عليهم لأنها أول ما نزل بالمدينة وأول خطاب مباشر لهم ؛ فجاءت (النبيين) جمعا سالما لتفيد القلة فى العدد [١].،و جاءت (الحق) معرفة أى الحق المعروف فى الشريعة وهو النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . "فالألف واللام للعهد في المسوغ المتقرر للقتل في شريعتهم." [٢].

فالمعنى أنهم قتلوا عددا قليلا من النبيين مخالفين فى ذلك أوامر شريعتهم .

أما الموضع الثاني من سورة آل عمران فإنه يذكر أقبح أفعالهم وصفاتهم فجاءت (الأنبياء) جمعا على وزن أفعلاء وهى من جموع الكثرة ، وجاءت (حق) نكرة للعموم والشمول أى دون أى حق لا فى شريعتهم ولا فى غيرها ، ولا بمبرر يقبله العقل (بغير سبب ولا شبهة).

فالمعنى أنهم قتلوا عددا كبيرا من الأنبياء مخالفين فى ذلك جميع الشرائع والفطرة البشرية والعقل وما تعارف عليه البشرأى قتل دون شبهة وهم يعلمون أنهم أنبياء مبعوثون.

١- **كل جمع سالم يفيد القِلة وكل جمع تكسير يفيد الكثرة باستثناء أربع صيغ هى : أفعل مثل أذرع ، وأفعلة مثل أطعمة ، وفِعلة مثل صبية ، وأفعال مثل أقمار.فإنها تفيد القلة**.من كتاب شذا العرف فى فن الصرف باختصار ص :١٢٢،١٢٣

٢- ملاك التاويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبيرالغرناطى ج ١ ص ٤٢ ط دار الكتب العلمية . بيروت.

أما الموضع الأول من سورة آل عمران فإنه تعريض بهم وليس خطابا صريحا لهم فجاءت (النبيين) جمع قلة ، وجاءت (حق) نكرة لنفى الحق عن قتل الأنبياء فقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)﴾

و المعنى أنه لايكون قتل نبى بحق سواء كان من اليهود أو غيرهم .

الوجه الثانى

ذكره الغرناطي في ملاك التأويل "أنَّ سبب التَّخصيص هو أنَّ جمع التَّكسير يكون لأولي العلم وغيرهم، وأمَّا جمع المذكَّر السَّالم فالأصل أن يختصَّ بأولي العلم، وقد يأتي لغيرهم على سبيل الإلحاق والتَّشبيه فجمع المذكَّر السَّالم فيه شرف الجمع لشرف المجموع " [1].فالمقصود فى سورة البقرة من لفظ (النبيين)أنهم قتلوا كبار الأنبياء والرسل ، والمقصود فى الموضع الثانى من سورة آل عمران (الأنبياء)أنهم قتلوا الأنبياء عموما.

يقول الدكتور فاضل صالح السمرائى:

"وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً لا حق يدعو إلى قتل ولا غيره. أي: ليس هناك وجه من وجوه الحق الذي يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضلاً عن قتلهم. فكلمة (حق) ههنا نكرة عامة، وكلمة (الحق) معرّفة معلومة، والقصد من التنكير الزيادة في ذمهم .

ومن الواضح أن موطن الذمّ والتشنيع عليهم والعيب على فعلهم في آية آل عمران أكبر منه في آية البقرة يدل على ذلك أمور منها: أنه في سورة البقرة جمع الذلة والمسكنة فقال :(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) وأما في آية آل عمران فقد أكّد وكرّر وعمّم فقال:(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا) فجعلها عامة بقوله (أينما ثقفوا) ثم قال :(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) فأعاد الفعل وحرف الجر للزيادة في التوكيد فإن قولك "أنهاك عن

١- ملاك التأويل ج ١ ص ٤٢,

الكبـر وأنهـاك عـن الريـاء" آكـد مـن قولـك "أنهـاك عـن الكبـر والريـاء". ثم إنه ذكر الجمع في آية البقرة بصورة القِلّة فقال (ويقتلون النبيين) وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال (ويقتلون الأنبياء) [١].

الموضع الثامن[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢ ﴾[المائدة: ٩٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤ ﴾ [النور: ٥٤]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ ﴾ [محمد: ٣٣]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ﴾ [التغابن: ١٢]

تشـابهت مـع قـول الله تعـالى :﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [آل عمران: ٣٢]

---

١ – التعبير القرآنى للدكتور فاضل صالح السمرائى ص ١٨٨،١٨٩ ط دار عمار.

٢- وَاقْرَأْ (أَطِيعُوا) و(أَطِيعُوا) زَائِدَةْ مِنْ بَعْدِ الاولَى فِي النِّسَا وَالْمَائِدَةْ
وَمِثْلُهُ فِي النُّـــورِ وَالْقِتَـــالِ وَخَامِسٌ فَوْقَ الطَّـــلاقِ تَالِ
وَآلُ عِمْـــرَانَ بِهَا قَدْ سَقَطَا فِي مَوْضِعَيْهَا لا تَـــكُنْ مُفَرِّطَا

و قولـه تعـالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] [1].

موضع التشابه : تكرار فعل الأمر ﴿وَأَطِيعُوا﴾ قبل لفظ ﴿الرسول﴾ فى سور : النساء والمائدة والنور ومحمد والتغابن ،و حذفه من باقى المواضع.

توجيه ذلك

أولا :هذه السور التى تكرر فيها قول الله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا﴾ قبل لفظ ﴿الرسول﴾ سبقها أو صاحبها الحديث عن المنافقين وعدم طاعتهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – وصدهم عنه ، أو موالاتهم غيره ، ورفض التحاكم إليه واتباعهم لأهوائهم أو الجهر بعداوته . ففى سورة النساء ورد قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) ﴾

و فى سورة المائدة: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾

و فى سورة النور : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)﴾

١– وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ موضعان فى سورة الأنفال فى الآيتين ١ ، ٤٦ وموضع فى سورة المجادلة الآية ١٣، وقوله تعالى : ُيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ً [الأنفال :٢٠].

وفى سورة محمد : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩)﴾ وسورة التغابن قبلها سورة المنافقون.

فناسب تكرار ﴿وَأَطِيعُوا﴾ للتوكيد على طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – خلافا لحال المنافقين، أما باقى السور فلم يكن فيها مثل هذا الحديث.

ثانيا : هذه المواضع سبقها أو صاحبها الحديث عن الحدود والأحكام والمحرمات ؛ فناسب تكرار ﴿وَأَطِيعُوا﴾ للتوكيد على طاعته – صلى الله عليه وسلم – خاصة فى هذه الأمور – التى خرج عنها كثير من الناس – .

فذكر الله تعالى فى سورة النساء : آيات المواريث والمحرمات من النساء وذكر فى سورة المائدة :المحرمات من المطعومات وورد فيها تحريم الخمر ، وفى سورة النور : ذكر حدى الزنا والقذف ، ويكفى فى سورة محمد تسميتها بسورة القتال ، وسورة التغابن تلتها سورة الطلاق وما فيها من حقوق للنساء لذلك كثيرا ما يرد الأمر بتقوى الله فى هذه السور مصاحبا للأمر بطاعة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –.

و من الملاحظ فى هذه السور أنها تحدثت عن الطهارة بنوعيها المعنوية والحسية : من بُعد عن: الزنا ونشر الفواحش والقذف ، والأمر بالوضوء والتيمم وملازمة المساجد وأجمل ذلك الحديث عن النور فمصدره الله سبحانه وتعالى والإيمان بكتابه ومكانه بيوت الله [1].

١- **ورد قوله تعالى :(أطيعوا) فى القرآن الكريم تسع عشرة مرة هذه المواضع وقوله تعالى: (وأطيعوا أمرى) [طه :٩٠]،(وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) [النور:٥٦]، (و اسمعوا وأطيعوا)** [التغابن:١٦] من كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمود فؤاد عبد الباقى ص ٤٣٠ ط دار الحديث – القاهرة.

فكان تكرار الفعل إشارة لما تميزت به هذه الأمة عن غيرها – بعد التوحيد – وهو الطهارة بنوعيها.

الموضع التاسع(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٥]

وقال تعالى:ﷺ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء: ١٢٤]

وقال تعالى:ﷺ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]

وقال تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر: ٤٠]

تشابهت مع قول الله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النجم: ٤٥]

و قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]

١- (مِنْ ذَكَرٍ أَوْ) جَاءَ فِي النِّسَاءِ وَآلِ عِمْرَانَ بِلا خَفَـــاءِ
وَالنَّحْلِ وَالْمُؤْمِنُ فِيهَا الرَّابِـعُ وَلَفْظُ (أُنْثَى) لِلْجَمِيعِ تَابِعُ

موضع التشابه : ذكر لفظى الذكر والأنثى بالعطف بحرف العطف (أو) فى المواضع الأربع الأُول بينما فى غيره العطف بالواو.(اختلاف حرف العطف)

توجيه ذلك :

الآيات الأربع الأُول ذكر فيها العمل الصالح والله يثيب عليه عامله ذكرا كان أم أنثى فناسب حرف العطف أو الذى يفيد التخيير بينما الواو يفيد الجمع فهو لا يناسب تلك المواضع ، بل يناسب المواضع الأخرى.

و هذه المواضع الأربعة المعطوفة بحرف العطف (أو) متتالية فى القرآن الكريم أى لم يرد بينها موضع معطوفا بالواو ؛ فأول المواضع المعطوفة بالواو هو موضع سورة الحجرات.

أما ذكر لفظى الذكر والأنثى فى هذه المواضع فيوضحه فى سورة آل عمران سبب النزول حيث ورد فى سبب نزولها:

" قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ الْآيَةَ ١٩٥ .

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إبراهيم النصراباذي قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو إِسْمَاعِيلُ بن نجيد قال: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بن سوار قال: أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُمَرَ بن أَبِي سَلَمَةَ، رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ بِشَيْءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ الْآيَةَ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَاهَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ سُفْيَانَ." (١).

١- أسباب نزول القرآن لأبى الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعى ج١ ص١٣٩ط دار الإصلاح – الدمام. والحديث ورد فى صحيح الترمذى باب تفسير القرآن عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرفوعا ج ٥ ص١١٨ رقم٣٠٢٣ والحديث صحيح، كما ورد فى المستدرك على الصحيحين للحاكم باب من سورة آل عمران ج ٢ ص ٣٢٨ رقم ٣١٧٤ قال : «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ».

و كانت السيدة أم سلمة – رضى الله عنها – أول مهاجرة وقصتها فى الهجرة وتفريق الكفار بينها وبين زوجها وولدها معروفة.

و ناسب فى هذه السورة ذكر لفظ (الأنثى) لوروده فى أولها مرتين فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾

و من الملاحظ أن سورة آل عمران سميت باسم آلٍ اصطفاهم الله على العالمين وعندما تحدث عنهم ذكر امرأة عمران والأنثى التى وضعتها فناسب ذلك أيضا ذِكر الأنثى آخر السورة.

ومن الملاحظ أن سورة النساء ذكر فيها لفظ (أنثى) مفردا ومثنى (الأنثيين) ومجموعا (إناثا)، كما أنها كثيرا ما تجمع بين المؤنث والمذكر فى مثل قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ ، ومثل قوله تعالى:﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ الآية ١٢.

و سورة النحل ورد فيها تشاؤم الكفار بميلاد الأنثى فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)﴾

و من الملاحظ فى القرآن الكريم أن لفظ الذكر لم يرد إلا مقرونا بلفظ الأنثى بينما ورد لفظ الأنثى منفردا عنه وسابقا عليه[١].

١– ذلك فى قوله تعالى:" والأنثى بالأنثى" سورة البقرة الآية١٧٨ ، وقوله تعالى :"قالت رب إنى وضعتها أنثى" سورة آل عمران الآية ٣٦.

الموضع العاشر[١].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧ ﴾[النساء: ٥٧]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ [النساء: ١٢٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ ﴾ [النساء: ١٦٩]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ [المائدة: ١١٩]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾ [التوبة: ٢١ ، ٢٢]

١- و(أَبَدًا) مِنْ بَعْدِ (خَالِدِينَا فِيهَا) بِإِحْدَى عَشْرَةِ يَقِينَا
فَفِي النِّسَاءِ لا تَعُدَّ الأَوَّلا وَاعْدُدْ ثَلاثًا بَعْدَهُ مُحَصَّلا
وَفِي الْعُقُودِ رَابِعٌ قَدْ وَقَعَا بِهَا أَخِيرًا نُورُهُ قَدْ سَطَعَا
وَمِثْلُهُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ فِي بَرَاءَةٍ وَهْوَ فِي الاحْزَابِ اقْتُفِي
وَثَامِنٌ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ وَفِي الطَّلاقِ تَاسِعُ الأَمَاكِنِ
وَعَاشِرٌ فِي الْجِنِّ وَالْبَرِيَّةْ فِيهَا كَمَالُ الْعِدَّةِ الْوَفِيَّةْ

وقال تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٤ ، ٦٥]

وقال تعالى:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[التغابن: ٩]

وقال تعالى:﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق: ١١]

وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجن: ٢٢ ، ٢٣]

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٧ ، ٨]

تشابهت مع غيرها من المواضع التى لم يذكر فيها لفظ (أبدا) فقال تعالى :﴿خالدين فيها﴾.

موضع التشابه إثبات لفظ (أبدا) هنا وحذفه فى غيره من المواضع.

التوجيه

"الأبد: عبارة عن مدّة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وذلك أنه يقال:

زمان كذا، ولا يقال: أبد كذا." (١).

وهو :"الدهر الطويل الذى ليس بمحدود"(٢).وَانْتَصَبَ أَبَداً عَلَى الظَّرْفِ

فيكون معنى خالدين فيها أبدًا : لا يموتون، ولا يخرجون منها. ماكثين فيها أبدًا إلى غير نهاية .

أما خَلَد : فالمراد منها دام وبقى وأقام ولزم حيث ورد فى معناها :" (الخُلد) بالضم البقاء والدوام ، وخَلَد خلوداً دام ، وبالمكان أقام ، وأخلد بصاحبه لزمه." (٣).

أما "الخُلُود: هو تبرّي الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافي: خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها. يقال: خَلَدَ يَخْلُدُ خُلُودا ، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ، والخُلُودُ في الجنّة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها، قال تعالى: ﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾." (٤).

وعلى هذا فلفظ (أبدا) يختلف فى المعنى عن لفظ (خالدين)

قال الإمام الرازى :"وَقَالَ أَصْحَابُنَا: الْخُلْدُ هُوَ الثَّبَاتُ الطَّوِيلُ سَوَاءٌ دَامَ أَوْ لَمْ يَدُمْ وَاحْتَجُّوا فِيهِ بِالْآيَةِ وَالْعُرْفِ أَمَّا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً ﴾

١- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الراغب الأصفهانى ج١ ص٥٩ ط دار القلم – بيروت.

٢- القاموس المحيط للفيروز آبادى ج١ ص٢٧١ مادة (أبد).و تعريف الراغب أدق لأن الفيروز أبادى نقله بنصه فى كتابه بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتـــــاب العزيز (بصيرة فى الأبد).

٣- القاموس المحيط للفيروز آبادى ج١ ص٢٨٩ مادة (خلد).

٤- المفردات فى غريب القرآن مادة (خلد)ج ١ ص٢٩١ ،٢٩٢.و **الأثافى هى القِطَع من الجبال.**

وَلَوْ كَانَ التَّأْبِيدُ دَاخِلًا فِي مَفْهُومِ الْخُلْدِ لَكَانَ ذَلِكَ تَكْرَارًا وَأَمَّا الْعُرْفُ فَيُقَالُ حَبَسَ فُلَانٌ فُلَانًا حَبْسًا مُخَلَّدًا وَلِأَنَّهُ يُكْتَبُ فِي صُكُوكِ الْأَوْقَافِ وَقَفَ فُلَانٌ وَقْفًا مُخَلَّدًا فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ هَلْ يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ الثَّوَابِ أَمْ لَا؟"(١). وذكر فى موضع آخر " أَنَّ الْخُلُودَ لِطُولِ الْمُكْثِ لَا لِلتَّأْبِيدِ" (٢).

وعلى هذا نفهم من الآيات أن الله – سبحانه وتعالى – عندما يذكر نعيم أهل الجنة يذكر معه ما هو أعظم وهو الخلود أو ما فوقه وهو الخلود الأبدى وأعلى هذه المنازل ذكر رضوانه – سبحانه وتعالى – فوق ذلك كله، فهى درجات فالمذكورون فى هذه الآيات فى أعلى الدرجات خاصة مَن وصفوا بنيل رضوانه تعالى وأعلاهم المذكورون فى آيتى التوبة ٢١، ٢٢لأنه ذكر الرحمة والرضوان والجنات بلفظ البشرى ثم ذكر الخلود الأبدى كما أنها انفردت بذكر الرحمة .

يقول الإمام الرازى:

"اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَ الْجَنَّةَ أَتْبَعَهُ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ الْخُلُودُ أَوَّلًا وَالرِّضَا ثَانِيًا، وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ الْخُلُودَ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَرِضَا اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ» ...فَجَنَّةُ الْجَسَدِ هِيَ الْجَنَّةُ الْمَوْصُوفَةُ وَجَنَّةُ الرُّوحِ هِيَ رِضَا الرَّبِّ." (٣).

ويقول الإمام البقاعى:"لما ذكر قيامها وما به دوامها، أتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الإقامة بها فقال: ﴿خالدين فيها أبداً﴾ "(٤).

١- مفاتيح الغيب للإمام أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازى ج٢ ص ٣٦٠ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج١٠ ص ١٠٨ ط دار إحياء التراث العربي .

٣- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج٥ ص ٢٥٢ ، ولم أقف على صحة الحديث.

٤- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكرالبقاعى ج ٥ ص ٣٠٧ ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

لذلك نبدأ بتوجيه الآيات التى تحدثت عن أهل الجنة:

فالآية السابعة والخمسون من سورة النساء ذكر فيها لفظ (أبدا) وقبلها اجتماع المشركين مع اليهود وحكم اليهود للذين كفروا بأنهم أهدى سبيلا من المؤمنين فى قوله تعالى : ﴿أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) ﴾ فكان الحكم من الله – سبحانه وتعالى – على اليهود وكل من كفر بذِكر حالهم فى النار وتبديل جلودهم ليذوقوا العذاب ثم ذِكر دخول أهل الجنة جنات تجرى من تحتها الأنهار وزيادة فى نعيمهم وصفهم بالخلود الأبدى .فأى الفِرق بعد ذلك البيان أهدى سبيلا ؟

وأما الآية الثانية والعشرون بعد المائة من سورة النساء فقبلها وعد الشيطان لأوليائه وتمنيته لهم ثم ذكر مصيرهم ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)﴾

فكان مصير من آمن بالله الجنة مع الخلود الأبدى فيها وعدا من الله لأوليائه خلافا لوعد الشيطان.

و هذا ما ذكره الإمام ابن جرير الطبرى فقال:" ولكن الله يعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنه سيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، وعدًا منه حقًّا، لا كوعد الشيطان الذي وَصَف صفته. فوصف جل ثناؤه الوعدَين والوَاعِدَيْن، وأخبر بحكم أهل كل وعد منهما، تنبيهًا منه – جل ثناؤه – خلقَه على ما فيه مصلحتهم وخلاصهم من الهلكة والمعطبة، لينزجروا عن معصيته ويعملوا بطاعته، فيفوزوا بما أعدّ لهم في جنانه من ثوابه." [١].

١– جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبى جعفر الطبري ج ٩ ص ٢٢٧ ط مؤسسة الرسالة.

و نذكر هنا تعليق الإمام الألوسى :" ولا يخفى ما في الاستفهام (و مَن) وتخصيص اسم الذات (الله) الجليل الجامع، وبناء أفعل (أصدق)، وإيقاع القول (قيلا) تمييزا من المبالغة، والمقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لأوليائه الذي أوصلهم إلى السعادة العظمى، ولذا بالغ سبحانه فيه وأكده حثا على تحصيله وترغيبا فيه." [١].

وأما آية المائدة فقد قال تعالى فيها: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ ، وورد التصديق لعيسى عليه السلام فوسمهم فيها بالصدق وهو أسنى حالات الإيمان وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾، فالصدق حال الأنبياء والرسل وأولى السوابق." [٢].

وأما الآية الثانية والعشرون من سورة التوبة فهى تتحدث عن المؤمنين المهاجرين المجاهدين وهم أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ من أهل السقاية والعمارة وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. وعن ابن عباس رضى الله عنه: هي في المهاجرين خاصة ، **ومن الملاحظ** أَنَّهُ تَعَالَى عَبَّرَ عَنْ دَوَامِ بقائهم فى الجنة بِثَلَاثِ عِبَارَاتٍ: أَوَّلُهَا: مُقِيمٌ وَثَانِيهَا: خالِدِينَ فِيها وَثَالِثُهَا: أَبَداً كما وصف أهلها بثلاث صفات هى الإيمان والهجرة والجهاد.

وأما الآية الثانية من سورة براءة ففيها: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ وسبقية هؤلاء رضوان الله عليهم وما عرف من حالهم وأنهم صفوة المحسنين من هؤلاء الأمة معلوم ملحق لهم بنمط الأعلين من الصادقين من أتباع الرسل فلما كان المشار إليهم فى الآيتين هم الأسوة والقدوة

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ،المحقق: علي عبد الباري عطية ج٣ ص١٤٥ ط: دار الكتب العلمية – بيروت بتصرف يسير.

٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للإمام الحافظ العلامة أبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ج١ ص .

لمن سواهم ناسب حالهم الإطناب فذكر الرضا والتأبيد ولم يقع فى الآيات البواقى وصف يلحق أصحابه بهؤلاء وإن شملهم الرضا والخلود فى الجنة "[١].

و ذكر الإمام الرازى أن السبب فى ذكر لفظ (أبدا)هنا أن الله ذكر قبله ثواب المؤمنين من الأعراب بقوله تعالى : ﴿سيدخلهم الله فى رحمته ﴾ فبين هنا أن السابقين من المهاجرين والأنصار منزلتهم أعلى فقال : " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ فَضَائِلَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَا يُنْفِقُونَ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ، بَيَّنَ أَنَّ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِمْ مَنَازِلَ أَعْلَى وَأَعْظَمَ مِنْهَا، وَهِيَ مَنَازِلُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ.. اخْتَلَفُوا فِي السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ هُمْ؟ وَذَكَرُوا وُجُوهًا: الْأَوَّلُ:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَشَهِدُوا بَدْرًا وَعَنِ الشَّعْبِيِّ هُمُ الَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ. وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّهُمُ السَّابِقُونَ فِي الْهِجْرَةِ، وَفِي النُّصْرَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ مَنِ اتَّبَعَهُمْ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّونَ الرِّضْوَانَ وَالثَّوَابَ، بِشَرْطِ كَوْنِهِمْ مُتَّبِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ."[٢].

و أما آية التغابن فقبلها ذكر الإيمان بالله والرسول والقرآن الكريم ﴿ النور الذى أنزلنا﴾ ووصف يوم القيامة بيوم التغابن ، ومن التغابن دخول أهل الجنة دارهم خالدين فيها أبدا ودخول الذين كفروا وكذبوا النار خالدين فيها [٣].

١- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ج١ ص ١٠١ ط .

٢- مفاتيح الغيب للإمام أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازى ج ١٦ ص ١٢٧ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣-ُ ذلك يومُ التغابُنِ ً فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه **من أسماء يوم القيامة** ، ومنه قول الشاعر:
(وما أَرْتَجي بالعيش من دارِ فُرْقةٍ ألا إنما الراحاتُ يوم التغابنِ)
الثاني: **لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار** ، قال الشاعر:
(لعمرك ما شيءٌ يفوتُك نيلُه بغبْنٍ ولكنْ في العقول التغابنُ)

=

الغبن لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء[١].

وأما آيـة الطـلاق "فوجه ذكر التأبيد فيها ما تكرر فى هذه السورة من ذكر غايات بينها قوله تعالى: "قد جعل الله لكل شئ قدرا " فلما أشارت آى السورة إلى غايات ونهايات ناسب ذلك التعريف بأن خلود الجنة متأبد لا انتهاء له ولم يجمع بينه وبين ذكر الرضا إذ لم يجتمع لمن ذكر هنا ما اجتمع لأولئك الموصوفين فى آية المائدة وثانية براءة ولم يبلغوا مبلغهم.

وأما آية البريئة (البينة) "فإنها على حكم مقتضى الترتيب الثابت آخر آية ذكر فيها حال المؤمنين فى الجزاء الأخروى معقبا به ذكر جزاء من كان فى طرف من حالهم من مستوجبى النار على التأبيد فكانت هذه الآية مظنة استيفاء للحال فوردت ورود الآيتين قبلها." [٢].

سُؤَالُ فى سورة البينة: " مَا السبب في أنه لم يقل هاهنا – الآية ٦– خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَقَالَ فِي صِفَةِ أَهْلِ الثواب: خالِدِينَ فِيها أَبَداً [البينة: ٨] ؟

وَالْجَوَابُ: مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ أَزْيَدُ مِنْ غَضَبِهِ وَثَانِيهَا: أَنَّ الْعُقُوبَاتِ وَالْحُدُودَ وَالْكَفَّارَاتِ تَتَدَاخَلُ، أَمَّا الثَّوَابُ فَأَقْسَامُهُ لَا تَتَدَاخَلُ

=

الثالث: **لأنه يوم غَبَنَ فيه المظلومُ الظالمَ** ، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غابناً. ويحتمل رابعاً: لأنه **اليوم الذي أخفاه اللهُ عن خَلْقه** ، والغبن الإخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه، ولذلك قيل مَغابِن الجسد لما خفي منه. وَالْغَبْنُ: النَّقْصُ. يُقَالُ: غَبَنَهُ غَبْنًا إِذَا أَخَذَ الشَّيْءَ مِنْهُ بِدُونِ قِيمَتِهِ.

من تفسير النكت والعيون للإمام ابى الحسن على بن محمد الماوردى ج ٦ ص ٢٣ ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ج ٤ ص ٥٤٨ ط: دار الكتاب العربي – بيروت.

٢– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ج١ ص ١٠٢.

وَثَالِثُهَا:رُوِيَ حِكَايَةً عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: يَا دَاوُدُ حَبِّبْنِي إِلَى خَلْقِي، قَالَ: وَكَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ؟ قَالَ: اذْكُرْ لَهُمْ سَعَةَ رَحْمَتِي،فَكَانَ هَذَا مِنْ هَذَا الْبَابِ." (١).

أما الآيات التى ذكرت التأبيد مع العذاب – وهى ثلاث آيات – فإن المقصود بها الكافرين كما ذكر الإمام الرازى :" وَاعْتَبِرْ هَذِهِ الدَّقِيقَةَ، فَإِنَّهُ أَيْنَمَا ذَكَرَ الثَّوَابَ قَالَ: خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَأَيْنَمَا ذَكَرَ عِقَابَ الْفُسَّاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ذَكَرَ لَفْظَ الْخُلُودِ وَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ التَّأْبِيدَ "(٢).

فآية سورة النساء تتحدث عن أهل الكتاب وتعنتهم بطلبهم نزول كتاب من السماء وصدهم عن سبيل الله وظلمهم بكتمان وصف النبى – صلى الله عليه وسلم – والله قد أوحى إليه قال: ﴿ لكن اللَّه يشهد﴾ ، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن اللَّه يشهد. وهذا ما ذكره أئمة المفسرين .

"و اعْلَمْ أَنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ وَصَدُّوا غَيْرَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّه، وَذَلِكَ بِإِلْقَاءِ الشُّبُهَاتِ فِي قُلُوبِهِمْ .....، وَقَوْلُهُ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً وَذَلِكَ لِأَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ ضَلَالًا مَنْ كَانَ ضَالًّا وَيَعْتَقِدُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مُحِقٌّ، ثُمَّ إِنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِذَلِكَ الضَّلَالِ إِلَى اكْتِسَابِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَبْذُلُ كُنْهَ جُهْدِهِ فِي إِلْقَاءِ غَيْرِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الضَّلَالِ، .... فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً وَلَمَّا وَصَفَ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ ضَلَالِهِمْ ذَكَرَ بَعْدَهُ وَعِيدَهُمْ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا مُحَمَّدًا بِكِتْمَانِ ذِكْرِ بِعْثَتِهِ وَظَلَمُوا عَوَامَّهُمْ بِإِلْقَاءِ الشُّبَهَاتِ فِي قُلُوبِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ.

١- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج ٣٢ ص ٢٥٢ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت. **عَدْنٍ يُفِيدُ الْإِقَامَةَ: يُقَالُ: عَدَنَ بِالْمَكَانِ.**

٢- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج ١٢ ص ٤٦٩. وهذا خلافا لمن يرون خلود أهل الكبائر فى النار وقد نص المؤلف على ذلك فى أكثر من موضع فى تفسيره منها قوله "وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى فِي أَكْثَرِ آيَاتِ الْوَعْدِ ذَكَرَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَلَوْ كَانَ الْخُلُودُ يُفِيدُ التَّأْبِيدَ وَالدَّوَامَ لَلَزِمَ التَّكْرَارُ وَهُوَ خِلَافُ الْأَصْلِ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الْخُلُودَ عِبَارَةٌ عَنْ طُولِ الْمُكْثِ لَا عَنِ الدَّوَامِ، وَأَمَّا فِي آيَاتِ الْوَعِيدِ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ الْخُلُودَ وَلَمْ يَذْكُرِ التَّأْبِيدَ إِلَّا فِي حَقِّ الْكُفَّارِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِقَابَ الْفُسَّاقِ مُنْقَطِعٌ ج ١١ ص٢٢٥.

وَاعْلَمْ أَنَّا إِنْ حَمَلْنَا قَوْلَهُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ لَمْ يُحْتَجْ إِلَى إِضْمَارِ شَرْطٍ فِي هَذَا الْوَعِيدِ، لِأَنَّا نَحْمِلُ الْوَعِيدَ فِي الْآيَةِ عَلَى أَقْوَامٍ عَلِمَ اللَّه مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الِاسْتِغْرَاقِ أَضْمَرْنَا فِيهِ شَرْطَ عَدَمِ التَّوْبَةِ، ثُمَّ قَالَ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: خالِدِينَ فِيها أَبَداً "[١].

"قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا) يَعْنِي الْيَهُودَ، أَيْ ظَلَمُوا مُحَمَّدًا بِكِتْمَانِ نَعْتِهِ، وَأَنْفُسَهُمْ إِذْ كَفَرُوا، وَالنَّاسَ إِذْ كَتَمُوهُمْ. (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) هَذَا فِيمَنْ يموت على كفره ولم يتب."[٢].

وأما آية سورة الأحزاب فقبلها ٌ إن الله لعن الكافرين ً ولم يرد هذا اللفظ بهذا التركيب فى القرآن الكريم إلا فى هذا الموضع. "و اللَّعْنُ: الطّرد والإبعاد على سبيل السّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه " [٣].فهم خالدون فى النار أبدا بعد انقطاعهم من رحمته تعالى .

و آية سورة الجن فتتحدث عن الكفر" لأَنَّ هَذَا الذَّنْبَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ لذا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ) مُتَنَاوِلًا لِمَنْ أَتَى بِكُلِّ الْمَعَاصِي، وَالَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ هُوَ الْكَافِرُ، فَالْآيَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْكَافِرِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ"[٤].

و ذكر ذلك الإمام القرطبى فى قوله :"وَقَوْلُهُ أَبَداً دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِصْيَانَ هُنَا هُوَ الشِّرْكُ." [٥].

١- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج ١١ ص ٢٦٩،٢٧٠.
٢- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ج ٦ ص ٢٠ .
٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، مادة (لعن) ج ١ ص ٧٤١ .
٤- مفاتيح الغيب للإمام أبى عبد الله الرازى ج ٣٠ ص ٦٧٦،٦٧٧ .
٥- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ج ١٩ ص٢٧ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الخامس الجزء الثاني ٢٠٢٠م

الموضع الحادى عشر[١].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[الأعراف: ٦٤]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٣]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٩]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل: ٥٧]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٥]

١- وَاقْرَأْ (فَأَنْجَيْنَاهُ) أَعْنِي نُوحَا فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ مُسْتَرِيحَا
وَمِثْلُهُ فِي الشُّعَرَاءِ يَا فَتَى وَثَالِثٌ فِي الْعَنْكَبُوتِ قَدْ أَتَى
وَإِنْ تُرِدْ لُوطًا فَفِي الأَعْرَافِ وَالنَّمْلِ فَافْهَمْهُ بِلا انْحِرَافِ
وَجَاءَ فِي قِصَةِ هُـودٍ يَبْدو فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ وَهْوَ فَرْدُ

تشابهت مع قوله تعالى:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس: ٧٣] [١].

موضع التشابه :﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ تشابه مع قوله تعالى:﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾

التوجيه:

الاختلاف هنا فى صيغة الفعل الماضى :الأول على وزن أفعل ، والثانى على وزن فعَّل ، وكلاهما يفيد التعدى إلا أن صيغة فعَّل تفيد التكثير والتكرار[٢].و هذه قاعدة هامة تفرق بين الأفعال مثل: نزّل وأنزل ، ونبّأ وأنبأ ، ونجّى وأنجى ، وعلّم وأعلم . ونقدم دليلا على ذلك من قول الراغب الأصفهانى :" ونَبَّأْتُهُ أبلغ من أَنْبَأْتُهُ، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم/ ٣] ولم يقل: أَنْبَأَنِي، بل عَدَلَ إلى «نَبَّأَ» الّذي هو أبلغُ تنبيهاً على تحقيقه وكونه من قِبَلِ الله. وكذا قوله: ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ﴾"[٣].

١- وقوله تعالى :﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٦]

و قوله تعالى :﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٠]

و قد ورد موضعان بسورة الصافات هما:﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) ﴾ **و**﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ(١٣٤)﴾ .

٢- الفعل إما لازما: أى لا يتطلب مفعولا به ، وإما متعديا أى يتطلب مفعولا به ، ولتحويل الفعل اللازم إلى فعل متعد ندخل عليه الهمزة أو التضعيف مثال ذلك: نزل الماءُ من السماء. لنجعل الفعل متعديا نقول:أنزل اللهُ الماءَ من السماء أو نقول:نزَّل اللهُ الماءَ من السماء ونلاحظ هنا أن الفاعل مع الفعل اللازم أصبح مفعولا به مع الفعل المتعدى.

٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ج ١ ص ٧٨٩ .

وقد تجتمع الصيغتان فى المعنى وهذا ما ذكره سيبويه فى كتابه

باب :افتراق فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى فقال:" تقول: دخل وخرج وجلس. فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أخرجه وأدخله وأجلسه.

وتقول: فزع وأفزعته، وخاف وأخفته، وجال وأجلته، وجاء وأجأته.

وقد يجيء الشيء على فعّلت فيشرك أفعلت، كما أنهما قد يشتركان في غير هذا؛ وذلك قولك: فرح وفرّحته، وإن شئت قلت أفرحته، وغرم وغرّمته، وأغرمته إن شئت، كما تقول: فزّعته وأفزعته." [١].

و بين الشيخ أحمد الحملاوى الفرق بين الصيغتين بيانا شافيا فقال:" فَعَّلَ يكثر استعمالها فى معانٍ، تُشارك أفْعَلَ فى اثنين منها، وَهُما **التعدية**، كقوَّمت زيدا وقعَّدته، **والإزالة** كجَرَّبتُ البعيرَ وقشَّرْتُ الفاكهة، أى أزلت جَرَبَه، وأزلت قشره، وتنفرد بأمور:

أولها: التكثير **فى: الفعل**، كجُوَّل، وطوَّف: أكثر الجَوَلان والطَّوفان، أو في **المفعول**، كغلَّقَتِ الأبواب، أو فى **الفاعل**، كموّتَتِ الإبلُ وبرَّكَتْ." [٢].

و(نجّى) فى القرآن الكريم معناها أشمل وأعم من (أنجى) لأمرين[٣].

الأول :أنها وردت فى معان اختصت بها وحدها وهى :

١ – تأتى مع الأمور المعنوية وهى الغم ، ويكون من الخطيئة والذنب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ

١– الكتاب: لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه –المحقق: عبد السلام محمد هارون ج ٤ ص ٥٥ ط مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢– شذا العرف فى فن الصرف للأستاذ الشيخ أحمد الحملاوى ص ٤٧ بتصرف يسير.

٣– **مضارع أنجى يُنْجِى ، ومضارع نجَّى يُنَجِّى.**

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه: ٤٠] .

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] (١). كما يكون الغم من الكرب ومنه قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الصافات: ١١٥] أى من الغم والمكروه الذى كانوا فيه من عبودية آل فرعون.

٢- يقصد بها النجاة من الشرك.و منه قوله تعالى :﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الأعراف: ٨٩].

٣ - كما يقصد بها النجاة من المعاصى وسيئ الأعمال ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم: ١١] على القول بأن عمله هو أعماله الخبيثة ذكره السعدى فى تفسيره.

٤- نجاة فرعون ببدنه .فى قوله تعالى:﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ [يونس/ ٩٢] وينبغى هنا أن نذكر أن هذه اللفظة القرآنية ﴿ ننجيك ﴾ تختلف فى معناها عن نظيراتها ؛ فالجمهور على أنها بمعنى : نرفعك على نجوة من الأرض(٢)." والنَّجْوَةُ والنَّجَاةُ: المكان المُرتفِع المنفصل بارتفاعه عمّا حوله،

١- **الغم هنا له معنيان الأول الغم بخطئه أى الحزن ، والثانى بطن الحوت لأن الغم التغطية.**

٢- ممن ذكر ذلك الراغب الأصفهانى فى مفرداته والأخفش فى معانى القرآن وابن جرير الطبرى فى تفسيره وعبد القاهر الجرجانى فى درج الدرر فى تفسير الآيات والسور والسمر قندى فى بحر العلوم وابن كثير فى تفسيره وغيرهم.

وقيل: سمّي لكونه نَاجِياً من السَّيْل، وَنَجَّيْتُهُ: تركته بنَجْوة، وعلى هذا: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس/ ٩٢] "[١].

كما أن لها معان أخرى[٢].

الثانى : إذا اجتمعت الصيغتان كانت (نجّى) فى الأمر الأعظم أو الأكثر أهمية أو الأكثر تكرارا أو خاصة بنبى محدد.

يتضح ذلك من خلال المقارنة بين الفعلين فى السور التى ورد فيها الفعلان بصيغتيهما ومن هذه السور البقرة والأنعام والأعراف.

ففى سورة البقرة ورد الفعل بالتشديد عند تذكير بنى إسرائيل بنعم الله عليهم وتنجيتهم من آل فرعون وعذابهم وتذبيح أبنائهم ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾" فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذُكِّروا بها ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة [٣].

وفى سورة الأنعام ورد بالتشديد مرتين وبالهمز مرة فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)﴾

فمع أنجانا جاءت لفظة (هذه) التى تدل على المفرد ، ومع التشديد جاءت لفظتان هما : (ظلمات) ، و(كل) تفيدان العموم والكثرة.

١- المفردات في غريب القرآن مادة (نجو) ج ١ ص ٧٩٢ . وعلى هذا فالتشديد فى الفعل أنسب لأنه يدل على إخراج فرعون من قاع البحر ورفعه على ربوة عالية وجعله علامة وآية لمن يأتى بعده فى طول الزمان فدل تشديد الفعل على ذلك كله ، كما أنه مناسب للفظة (بدنك) التى تدل على عِظم الجثة.

٢- ومن معانيها :" نتركك حتى تغرق والنجاء الترك ، ونجعلك علامة والنجاء العلامة ، ونغرقك من قولهم نجى البحر أقواما إذا أغرقهم ، والإسراع أى نسرع بهلاكك " البحر المحيط في التفسير: لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان – المحقق: صدقي محمد جميل ج ٦ ص ١٠٣ ط دار الفكر – بيروت بتصرف.

٣- ملاك التأويل ج ١ ص ٣٤.

و فى سورة الأعراف كانت جميع المواضع على وزن أفعل تدل على نجاة المؤمنين من العذاب الذى يرمى الله به الظالمين عدا موضع واحد ورد بالتشديد وهو ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ الآية ٨٩ الذى يدل على النجاة من الشرك وهذا أعظم .

"فالتشديد يؤذن بقوة الفعل فى كميته أو كيفيته"[١].

أما عن توجيه المواضع المذكورة أولا فنقول :

و لتوجيه تلك المواضع نوضح أن الأصل (أنجى) لأنه يدل فى هذه المواضع على التعدية فقط فلا تحتاج مواضعه لتوجيه لأنه الأصل بينما (نجّى) بالتشديد هو ما يحتاج للتوجيه لإفادته معان غير التعدية ، كذلك فإن الأصل فى الاسم الموصول (الذين) لأنه يختص بالصلة فقط ويدل على الجمع المذكر بينما (مَن) فإنه يستعمل للصلة والاستفهام والشرط كما أنه يدل على المفرد والمثنى والجمع بنوعيهم المذكر والمؤنث .

و هذا ما ذكره الخطيب الإسكافى فقال : " فاستعمل الأصل في اللفظين، وهما: أنجينا والذين. "[٢]. فى سورة الأعراف ، وذكر أن سبب التشديد فى سورة يونس هو التفنن فى القول وتجنب التكرار فقال : " ولما كرر هذا الذِكر كان العدول إلى اللفظين الآخرين اللذين هما معناهما، وهما: (نجينا) و(من) أشبه بطريقة الفصحاء وعادة البلغاء." [٣].

و على هذا فإن تشديد (نجَّى) **فى سورة يونس** يناسب العموم فى الاسم الموصول بعده (مَن) والجمع فى(خَلَائِفَ) فكلاهما يفيد الكثرة وكذلك ورود حرف الجر قبلهما (مِن) وتنكير (أجر) يفيدان العموم ، فكان الأنسب التشديد مناسبة للسياق قبله وبعده." المبالغة في يونس أكثر ." [٤].

١- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ٣ ص ١٤٧ ط الدار التونسية للنشر – تونس.
٢- درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢ ص ٦١٠.
٣- درة التنزيل وغرة التأويل ج ٢ ص ٦١٠.
٤- .غرائب التفسير ج ١ ص ٤١٢.

يذكر بعض ذلك الإمام الكرمانى فيقول : " قَوْله ﴿ فَكَذبُوهُ فأنجيناه وَالَّذين مَعَه فِي الْفلك وأغرقنا الَّذين كذبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وَفِي يُونُس ﴿ فَكَذبُوهُ فنجيناه وَمن مَعَه فِي الْفلك﴾ لِأَن أنجينا ونجينا للتعدي لَكِن التَّشْدِيد يدل على الْكَثْرَة وَالْمُبَالغَة فَكَانَ فِي يُونُس ﴿ وَمن مَعَه﴾ وَلَفظ ﴿ من﴾ يَقع على أ كَثْرَ مِمَّا يَقع عَلَيْهِ ﴿ الَّذين ﴾ لِأَن مَن يصلح للْوَاحِد والتثنية وَالْجمع والمذكر والمؤنث بِخِلَاف الَّذين فَإِنَّهُ للجمع . " [١].

و **سورة الأنبياء** الفعل نجَّى فيها ورد بالتشديد حيث ذُكر مع جميع الأنبياء فيها : فى قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) ﴾، وفى هذا الموضع ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ وهو موضع التوجيه ، وبعده قوله تعالى :﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ فورود الفعل بالتشديد مناسبة لما قبله وما بعده .

و **سورة الشعراء** فلمساواة فعل النجاة لفعل العذاب حيث ورد فعل العذاب بالتشديد (دمّرنا) وهو قوله تعالى : ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) ﴾[٢].

---

١ –البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة ، أبى القاسم برهان الدين الكرماني المحقق: عبد القادر عطا ج ١ ص ١٢٢ ط دار الفضيلة .

٢ –إذا ورد فعل النجاة بالهمز ورد فعل الهلاك بالهمز وذلك فى الأعراف الآيات ٦٤: فأنجيناه ...و أغرقنا ، ٨٣،٨٤: فأنجيناه ...و أمطرنا ، وفى الشعراء فى الآيتين ٦٥،٦٦ وأنجينا ... ثم أغرقنا ، وفى النمل الآيتان ٥٧،٥٨: فأنجيناه ...و أمطرنا ، وفى العنكبوت فى الآيتين ١٤،١٥فأخذهم الطوفان ... فأنجيناه. وإذا ورد فعل النجاة بالتشديد ورد فعل الهلاك بالتشديد وذلك فى الشعراء فى الموضع المذكور ، وهذا ما أُطلِق عليه مساواة فعل النجاة لفعل العذاب .

هذا ولإتمام الفائدة نذكر الأمر التالي :

- خصت سُّورَة النمل بأنجينا دون فصلت لموافقته لما بعده وَهُوَ (فأنجيناه وَأَهله) ، (وأمطرنا) (وَأنزل) (فَأَنْبَتْنَا) كُله على لفظ أفعل[١].
- الوارد من هذا الفعل فى القرآن الكريم من أول الصافات إلى القمر ورد بالتشديد . وخصّت فُصلت بنجيّنا دون النمل؛ موافقة لما قبله: (وزيّنا) وما بعده (وقَيَّضْنَا لَهُمْ) وكلَّه على لفظ فعَّل. [٢].
- ثبتت القراءات المتواترة فى تسعة أفعال منها بالتخفيف كما ثبتت فيها أيضا بالتشديد وهذه المواضع هى : ﴿ مَنْ يُنَجِّيكُمْ ﴾ و﴿ وَقُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ ﴾ كلاهما بالأنعام ، و﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ و﴿ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ و﴿ وَنُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه الثلاثة بيونس ، و ﴿ ثم نُنَجِّي الَّذِينَ ٱاتقوا﴾ بمريم ، و ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ ﴾ فى العنكبوت و﴿ يُنَجِّي اللَّهُ﴾ فى الزمر ، و ﴿ تُنْجِيكُمْ ﴾ فِي الصَّفِّ .

يقول الإمام ابن الجزرى : " فَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِتَخْفِيفِ تِسْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْهَا، وَهِيَ مَا عَدَا الزُّمَرَ وَالصَّفَّ وَافَقَهُ عَلَى الثَّانِي هُنَا نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ ذَكْوَانَ، وَانْفَرَدَ الْمُفَسِّرُ بِذَلِكَ عَنْ زَيْدٍ عَنِ الدَّاجُونِيِّ عَنْ أَصْحَابِهِ عَنْ هِشَامٍ، وَوَافَقَهُ عَلَى الثَّالِثِ مِنْ يُونُسَ الْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ، وَوَافَقَهُ فِي الْحِجْرِ وَالْأَوَّلِ مِنَ الْعَنْكَبُوتِ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَوَافَقَهُ عَلَى مَوْضِعِ مَرْيَمَ الْكِسَائِيُّ، وَعَلَى الثَّانِي مِنَ الْعَنْكَبُوتِ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ، وَخَلَفٌ وَأَبُو بَكْرٍ.

وَأَمَّا مَوْضِعُ الزُّمَرِ فَخَفَّفَهُ رَوْحٌ وَحْدَهُ وَشَدَّدَ الْبَاقُونَ سَائِرَهُنَّ، وَأَمَّا حَرْفُ الصَّفِّ فَشَدَّدَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَخَفَّفَهُ الْبَاقُونَ. "[٣].

---

١ – فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ج ١ ص ٤٢٤.

٢ – وهذا ما يطلق عليه الملاءمة فى اللفظ أو النظر للسابق واللاحق نقلا عن : المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم وأسراره البلاغية للدكتور صالح عبدالله الشثرى.

٣– النشر في القراءات العشر لشمس الدين أبى الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف – المحقق فضيلة الشيخ: علي محمد الضباع ج ٢ ص ٢٥٩ ط المطبعة التجارية الكبرى.

" قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَالتَّشْدِيدُ وَالتَّخْفِيفُ لُغَتَانِ مَنْقُولَتَانِ مِنْ نَجَا، فَإِنْ شِئْتَ نَقَلْتَ بِالْهَمْزَةِ، وَإِنْ شِئْتَ نَقَلْتَ بِتَضْعِيفِ الْعَيْنِ وَلَمَّا جَاءَ التَّنْزِيلُ بِاللُّغَتَيْنِ مَعًا ظَهَرَ اسْتِوَاءُ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي الْحُسْنِ، غَيْرَ أَنَّ الِاخْتِيَارَ التَّشْدِيدُ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّه كَانَ غَيْرَ مَرَّةٍ. " (١).

- ﴿ فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَما كانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف ٧٢] هذا الموضع الوحيد المذكور فى قصة نبى الله هود – عليه وعلى نبين الصلاة والسلام – " وأخبر – سبحانه – أنه نجّى هودا برحمته، وكذلك نجّى الذين آمنوا معه برحمته، ليُعلم أنّ النجاة لا تكون باستحقاق العمل، وإنما تكون بابتداء فضل من الله ورحمته فما نجا من نجا إلا بفضل الحق سبحانه." (٢).

الموضع الثانى عشر (٣).

قال الله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ ﴾[الأنعام: ١٤٨]

١- مفاتيح الغيب للرازى ج ١٣ ص ١٩.
٢- لطائف الإشارات ج ١ ص ٥٤٦.
٣- وَجَاءَ فِي الأَنْعَامِ (مَا أَشْرَكْنَا) ... شَابَهَهُ فِي النَّحْلِ (مَا عَبَدْنَا)

تشابه مع قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥ ﴾ [النحل: ٣٥]

موضع التشابه : ﴿ مَا أَشۡرَكۡنَا ﴾ تشابه مع ﴿ مَا عَبَدۡنَا ﴾[١].

التوجيه

أولا: مادة (شرك) وردت فى سورة الأنعام تسع وعشرين مرة فهى من أكثر السور التى وردت فيها تلك المادة فقد وردت فى سورة البقرة سبع مرات ، وفى سورة آل عمران أربع مرات ، وفى سورة النساء خمس مرات بينما وردت فى سورة المائدة مرة واحدة ، ووردت فى سورة النحل إحدى عشرة مرة فسورة الأنعام من أكثر السور حديثا عن الشرك ومظاهره.

هذا مع تنوع صور ورودها فى سورة الأنعام فوردت مفردة (شريك) ، ومجموعة (المشركين ، شركاء ، لمشركون) ، كما وردت مسندة لضمير الغائب (أشركوا ، شركاؤهم) والمتكلم (أشركنا) والمخاطب (أشركتم) ووردت بصيغة الماضى والمضارع (تشركون) ولم يرد فعل الأمر منها فى القرآن الكريم [٢].

فمن أعظم مقاصد سورة الأنعام نفى الشريك عن الخالق سبحانه وتعالى من الأوثان والكواكب والقمر والشمس والجن فهى تتحدث عن التوحيد

١- لم يشر أحد ممن ألف فى توجيه المتشابه اللفظى إلى هذين اللفظين (أشركنا ، عبدنا) إلا الإمام علم الدين السخاوى فهذا مما تفرد به ، وإنما تحدث غيره عن تكرار (من دونه) مرتين وإظهار الضمير (نحن) وذلك فى سورة النحل ، ولم أجد البيت الذى تحدث فيه عن هذا الموضع إلا فى كتاب التوضيحات الجلية.

٢- صور هذه المادة فى سورة الأنعام هى : المشركين ، تشركون ، أشركوا ، شركاؤهم ، أشركتم ، شركاء، لمشركون ، شركاءنا ، شركاءهم ، أشركنا ، تشركوا ، شريك.

و صورها فى سورة النحل هى : يشركون ، شركائى ، أشركوا ، شركائهم ، شركاؤنا ، مشركون ، مشركين.

الخالص ويكفى دليلا على ذلك قوله تعالى فيها :(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) بدأ بالنهى عن الشرك ، وورود قصة نبى الله إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فيها لنفى الشريك والبراءة من الشركاء ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾

- أما مادة (عبد) فقد وردت فى سورة الأنعام خمس مرات وصورها هى (عباده ، أعبد ، فاعبدوه)، بينما وردت فى سورة النحل ست مرات متنوعة الصور فجاءت مفردة (عبدا) ومجموعة (عباده) ، وورد الفعل فيها ماضيا (عبدنا) وأمرا (اعبدوا) ومضارعا بالغيب (يعبدون) والخطاب (تعبدون) فهى أكثر ورودا فى سورة النحل وأكثر تنوعا .فالحديث فى سورة النحل حديث عن العبادة بدليل الآية التالية لها توضح أن مهمة الرسل هى تعبيد الأمم لله تعالى وذلك فى قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ وسبق فيها وصف الرسل بأنهم عباده ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) ﴾ وعندما ورد الحديث فيها عن نبى الله إبراهيم –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وُصف بأنه قانتا لله والقنوت من أعظم العبادات ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾ فالحديث فى سورة الأنعام عن قوم أشركوا بالله – ومنهم الذين هادوا – ، والحديث فى سورة النحل عن قوم أشركوا به وعبدوا غيره وهى فى مشركى العرب خاصة .

ثانيا : الحديث فى سورة الأنعام أشد وأعنف منه فى سورة النحل ففى صدر سورة الأنعام الحديث عن إعراض المكذبين وهلاكهم

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)﴾ ، بينما الحديث فى صدر سورة النحل تذكير بنعم الله ومننه علينا لذلك يقال لها سورة النعم [١].

وفى موضع التشابه فى سورة الأنعام رد على المشركين بقوله تعالى : (كذلك كذَّب) بينما فى سورة النحل (كذلك فعل) ووصفهم بالتكذيب أشد توبيخا من الفعل ، وختمت الآيات فى سورة الأنعام بقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)﴾ والتخريص أسوأ الكذب (قتل الخراصون)[الذاريات :١٠]

وفى سورة الأنعام ذكر العذاب (حتى ذاقوا بأسنا) بينما ختمت الآية فى سورة النحل بقوله تعالى فهل على الرسل إلا البلاغ المبين .

والسبب فى ضلالهم كما ذُكر فى سورة الأنعام من عند أنفسهم وهو عدم العلم واتباع الظن أما فى سورة النحل فهو من الشيطان (الطاغوت)؛ لذلك كان اللفظ الأنسب فى سورة الأنعام (أشركنا) فهو يدل على إثبات الشريك والإشراك يدل على تحريم أشياء وتحليل أشياء من دون الله – ولذلك لم يذكر مع أشركوا من دونه كما ذكر فى النحل مرتين – واللفظ الأنسب لسورة النحل (عبدنا) لأن السورة تتحدث عن نعم الخالق سبحانه وتعالى فعبادة غير الله بررها المشركون بقولهم الكاذب (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: ٣] ، أما الشرك فلم يستطيعوا له تبريرا.

بقى أن نذكر أنه :"لما حذف من دونه فى سورة الأنعام ناسب أن يحذف الضمير (نحن) ليطرد التركيب فى التخفيف." [٢].

١- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكى بن أبى طالب ج ٦ ص ٣٩٤٤.

٢- البحر المحيط في التفسيرلأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق صدقي محمد جميل ط دار الفكر – بيروتج ٤ ص ٦٨٢.

الموضع الثالث عشر[١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ ﴾[الأعراف: ١١١]

تشابه مع قوله تعالى :﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ ﴾ [الشعراء: ٣٦] .

موضع التشابه قوله تعالى :﴿ وَأَرۡسِلۡ ﴾ تشابه مع ﴿ وَٱبۡعَثۡ ﴾.

التوجيه

أولا : سورة الأعراف كثر فيها ورود مادة (رسل) أكثر من سورة الشعراء حيث وردت فى سورة الشعراء فى سبعة عشر موضعا ، بينما وردت فى سورة الأعراف فى ثلاثين موضعا تتنوع معانيها كما ذكر فى الموضع الأول.

ثانيا : لفظة أرسل يفهم منها الاهتمام بالرسالة والرسول فلا رسول بلا رسالة ؛ فالعبرة فيها بقيمة الرسالة المرسلة وقيمة المُرسِل .

جاء فى المفردات للراغب الأصفهانى مادة (رسل): " والرَّسُولُ يقال تارة للقول المتحمّل كقول الشاعر:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا ، وتارة لمتحمّل القول والرِّسَالَةِ."

أما لفظة ابعث فتوحى بكثرة المبعوثين دون الاهتمام بقيمة المبعوث

بدليل المعنى اللغوى للكلمة "و البَعْث ويُحرك الجيش وتبعث منى الشعر انبعث كأنه سال " [٢]. ولذلك كان الرسل أشرف المبعوثين مع قلة الرسل وكثرة المبعوثين .

و لذلك جاء لفظ ابعث –الموحى بالكثرة – فى سورة الشعراء مناسبة لزيادة لفظ (بسحره) قبلها ، وللمبالغة فى (سحّار) بعدها ولكثرة ذكر السحرة

١- وَاقْرَأْ (وَأَرْسِلْ) بَعْدَ (أَرْجِئْهُ) فَقَدْ ... جَاءَ فِي الاعْرَافِ وَسَلْ مَنِ انْتَقَدْ

٢- القاموس المحيط ج ١ ص١٦١ مادة (بعث). وفى المفردات للراغب الأصبهانى :أصل البَعْث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال:بَعَثْتُهُ فَانْبَعَثَ، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به، فَبَعَثْتُ البعير : أثرته وسيّرته.

فيها حيث ورد اللفظ فى هذا الموضع أربع مرات ولقول فرعون (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) الآية ٤٩ .إضافة لورود قوله (وجُمع السحرة) وهى توحى بالكثرة .

بينما حذف لفظ (بسحره) من سورة الأعراف ، وجاء لفظ (ساحر) اسم فاعل وذكر السحرة فى سورة الأعراف مرتين ولم يذكر أنه كبيرهم الذى علمهم السحر.

و نختم ذلك بأن الكلام فى سورة الأعراف كلام الملأ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) ﴾ ليس كلام فرعون فلم يؤكد القول (بسحره) فطلبوا الإرسال فقط ولم يطلبوا الكثرة فكان هذا رأيهم ، أما فى سورة الشعراء فهو كلام فرعون ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾.

فلما تكلم فرعون وأكد كلامه بقوله (بسحره) طلبوا كثرة من المبعوثين ليجمعوا السحرة تأكيدا ومتابعة لقول سيدهم على عادة المتملقين فى كل زمان .

الموضع الرابع عشر[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء: ٩٥]

١- وَأَخَّرَ الأَمْوَالَ وَالأَنْفُسَ مِنْ بَعْدِ (سَبِيلِ اللهِ) ذُو الْحِذْقِ الْفَطِنْ
أَوَّلَ مَا فِي تَوْبَةٍ وَفِي النِّسَا وَالصَّــفِّ لَكِنْ فِي سِوَاهَا عُكِسَا

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾ [التوبة: ٢٠]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾ [الصف: ١٠ ، ١١]

تشابهت مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾[الأنفال: ٧٢] ، وقوله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)﴾ [التوبة] ، وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)﴾ [التوبة] ، وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [الحجرات].

موضع التشابه : حيث أخر الأموال والأنفس فى سور النساء وأول التوبة والصف ، وقدمهما فى باقى المواضع .

التوجيه

أولا: من عادة العرب فى كلامهم تقديم الأهم ، فقدم (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فى هذه المواضع – وقد ورد قبلها (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) – فالعبرة فى هذه المواضع

الثلاثة بالهدف من الجهاد (الإخلاص)، وهنا مدح لهؤلاء المؤمنين فى هذه المواضع ، فعملهم يكون دائما فى سبيل الله وهدفهم إرضاء الله تعالى.

ففى سورة النساء ورد قبل هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾الآية ٩٤. وفى الأية تصريح بتفضيل للمؤمنين المجاهدين على غيرهم .بقوله:" فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم"

و فى سورة التوبة ورد قبله قول الله تعالى :﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾ ، وفى الآية أيضا تفضيل للمؤمنين المجاهدين على غيرهم وإن كانوا سقاة الحجيج وعمرة المسجد الحرام .

و فى سورة الصف ورد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) ﴾ فى الآية تصريح بحب الله لهؤلاء المؤمنين المجاهدين.

ثانيا : تقدم الأموال والأنفس إذا كان الحديث عن المنافقين أو سوء خلق صدر عن بعض المؤمنين .

ففى سورة الأنفال الحديث عن اختلاف المؤمنين فى الأنفال وهذا سبب تسمية السورة كما أن الله عاتبهم على قبول الفداء من المشركين بقوله :﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)﴾ ؛ فقدم المال – سبب الاختلاف – لأن الأولى منهم بذله فى سبيل الله.

و فى التوبة الآية ٤١ الحديث موجه للمؤمنين عند تقاعسهم عن الجهاد ونصرة الرسول – صلى الله عليه وسلم– .

وفى الآية ٨١ منها الحديث عن المنافقين .

و فى سورة الحجرات الحديث عن سوء خلق الأعراب ومنِّهم على النبى – صلى الله عليه وسلم– أنهم آمنوا ولم يقاتلوه كما فعل غيرهم من العرب ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ فالأولى هنا تقديم الأموال والأنفس لأن القوم حديثوا عهد بالإسلام ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم فعليهم البذل حتى يصلوا لدرجة السابقين من الصحابة عليهم رضوان الله تعالى .

الموضع الخامس عشر(١).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس: ٣١]

تشابه مع قوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ: ٢٤]

موضع التشابه :إفراد السماء فى سورة يونس وجمعها فى سورة سبأ .

التوجيه :

أولا : موضع سورة سبأ ورد قبله قول الله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)﴾ حيث ورد لفظ السَّمَاوَاتِ مجموعا قبله ، وغالب الحديث فى سورة سبأ عن نفى الأنداد والشركاء فناسب جمع السموات هنا مبالغة وتأكيدا على عجز هؤلاء الأنداد .

بينما فى سورة يونس الحديث عن قدرة الله تعالى وعلى حشر الخلائق يوم القيامة ، فوحد السماء وعدد النعم من رزق وحواس وحياة.

١- – فِي يُونُسٍ لَفْظُ (السَّمَاءِ) مُفْرَدُ ... مِنْ بَعْدِ (مَنْ يَرْزُقُكُمْ) مُوَحَّدُ – وَقَدْ أَتَى فِي سَبَأٍ مَجْمُوعَا ... فَاعْرِفْهُمَا وَاحْفَظْهُمَا جَمِيعَا

ثانيا : إِذَا أريد الوصف الشامل للسموات وَهُوَ مَعْنَى الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِ أُفرد كَالْأَرْضِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يخسف بكم الأرض﴾ فَأُفْرِدَ فِي سُورَةِ يُونُسَ إِرَادَةً لِلْجِنْسِ لَمَّا كَانَ الْمُرَادُ الْوَصْفَ الشَّامِلَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ سَمَاءً مُعَيَّنَةً(١).

بينما فى سبأ جمعها لأنه نفى ملك هؤلاء الأنداد لمثقال ذرة فناسب الجمع مبالغة لعجزهم.

ثالثا : المقصود بقوله تعالى : من السماء الماء ، وبقوله تعالى : من السموات الوحى والهداية ؛ فالْآيَاتِ الَّتِي فِي يُونُسَ سِيقَتْ لِلِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَقَرُّوا بِهِ مِنْ كَوْنِهِ تَعَالَى هُوَ رَازِقُهُمْ وَمَالِكُ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ فَلَمَّا كَانُوا مُقِرِّينَ بِهَذَا كُلِّهِ حَسُنَ الِاحْتِجَاجُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ ﴿ فسيقولون الله﴾ أَيْ هُمْ يُقِرُّونَ بِهِ وَلَا يَجْحَدُونَهُ وَالْمُخَاطَبُونَ الْمُحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا كَانُوا مُقِرِّينَ بِنُزُولِ الرِّزْقِ مِنْ قِبَلِ هَذِهِ السَّمَاءِ الَّتِي يُشَاهِدُونَهَا وَلَمْ يَكُونُوا مُقِرِّينَ بِنُزُولِ الرِّزْقِ مِنْ السموات حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَيْهِمْ فَأُفْرِدَتْ لَفْظَةُ السَّمَاءِ هُنَا لِذَلِكَ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي فِي سَبَأٍ فَإِنَّهُ لم يذكر إِقْرَارِهِمْ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ولهذا أمر رسوله بأن يجيب عَنْهُمْ لا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُجِيبُونَ فَقَالَ ﴿ قُلِ اللَّهُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أَيِ اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يُنْزِلُ رِزْقَهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَمَنَافِعِهِ من السموات (٢).

١- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ٤ ص٩.
٢- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ٤ ص٩.

الموضع السادس عشر[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يونس: ٢٠]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الرعد: ٧]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرعد: ٢٧]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٠][٢].

تشابهت مع قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)﴾[الأنعام].

موضع التشابه : ورود الفعل (أنزل) على صيغة أفعل فى الآيات الأربع الأول ، وروده على صيغة فعَّل (نزَّل) فى آية : الأنعام.

التوجيه:

أولا: المقصود بقولهم لولا نزل عليه آية فى سورة الأنعام التأكيد على كونها آية مبهرة تلجئهم للإيمان يدل على ذلك ورود الفعل مضعفا وماسبق فى السورة من الحديث عن آيات كونية كخلق السموات والأرض والظلمات والنور

١- و(آيَـةٌ) مِنْ بَعْدِ (لَوْلا أُنْزِلا) بِأَلِفٍ عَدَدتُهُ مُحَصِّـــلا
فَاثْنَانِ فِي الرَّعْدِ وَحَرْفُ يُونُسِ وَرَابِعُ فِي الْعَنْكَبُوتِ مَا نُسِي
وَهْوَ لِمَنْ يَقْرَأُ بِالإِفْـــرَادِ فَافْهَمْ مَقَالِي عَالِمًا مُـرَادِي

٢- قرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائى وخلف العاشر(ءايت) بالتوحيد على إرادة الجنس والباقون بالجمع على إرادة الأنواع .المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها للدكتور محمد سالم محيسن ج ٢ ص ٢٢٨.

والآيات التى يحتاج فيها إلى النظر وإعمال الفكر ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾ أما فى باقى المواضع فلم يتقدمها ما تقدم سورة الأنعام من آيات؛ فالمقصود آية تدل على صدقه فقط.

يشير إلى ذلك ابن الزبير الغرناطى بقوله :" فطلبوا آية تبهر ولا يحتاج معها إلى كبير نظر كناقة صالح عليه السلام أو شبه ذلك فافتتحوا فيما ذكره سبحانه عنهم بأداة لولا التحضيضية حرصا على ما طلبوه، وأتوا بالفعل مضعفا لما أرادوه من التأكيد فقالوا: نزل وأفردوا آية لما قصدوه من أنه عليه السلام ما جاءهم بآية واحدة من الضرب الذى طلبوه فقال تعالى: قل لهم يا محمد إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون أى لا يعلمون ما كان يعقبهم ذلك لو وقع على وفق اقتراحهم من تعجيل أخذهم

وهلاكهم كما جرى لغيرهم من الأمم ،وقد قدم لهؤلاء التنبيه على ذلك فى قوله تعالى: "ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون " [١].

ثانيا : المقصود فى موضع سورة الأنعام آية من القرآن الكريم يدل على ذلك تتبع الفعل فى القرآن الكريم حيث يرد قاصدا القرآن الكريم بالتضعيف ومع غيره بالهمز والآيات الدالة على ذلك هى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) ﴾**[الأنعام]**.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)﴾**[هود]**.

١- ملاك التأويل ج ١ ص ١٥٨،١٥٩.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧)﴾ [الفرقان].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾ [الفرقان].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾ [الفرقان].

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾ [الزخرف].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠)﴾[محمد]

، فعند الحديث عن نزول ملك أو كنز أو الملائكة ورد الفعل بالهمز (أنزل) أما عند الحديث عن القرآن الكريم ورد بالتضعيف (نزّل).

الموضع السابع عشر[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾ [هود: ٢٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥ ﴾ [الزخرف: ٦٥].

تشابهتا مع قول الله تعالى:

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ ﴾ [الأعراف: ٥٩]

و قول الله تعالى :

١- يَوْمٍ أَلِيمٍ) حَرْفُ هُودٍ جَاءَ فِي ... قِصَّةِ نُوحٍ وَأَتَى فِي الزُّخْرُفِ

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) ﴾ [مريم : ٣٧]

موضع التشابه:

قوله تعالى ﴿يوم أليم ﴾ تشابه مع قوله تعالى ﴿يوم عظيم﴾ وهو من إبدال لفظ بلفظ.

التوجيه :

أولا: أليم وعظيم كلاهما صفة لليوم ، والأليم الذى يبلغ إيلامه غاية البلوغ[١].فهو أليم فى وقعه ، والعظيم الكبير المفخَّم [٢]. فهو عظيم فى مقداره، ولا يخفى التفخيم فى حرف الظاء وهو من مناسبة اللفظ للمعنى. وموضع سورة هود أكثر تشابها مع موضع سورة الأعراف لأن كلا منهما ورد فى قصة نوح –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –، بينما موضع سورة الزخرف أكثر تشابها مع موضع سورة مريم فكلاهما وارد فى قصة عيسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –

و اختلاف اللفظ مع أن القائل واحد يرجع إلى أنه قاله فى أكثر من موقف لأكثر من شخص فهو قد قالها جميعا .و اختيار اللفظ فى موضع لأنه الأنسب لهذا السياق ليتعلم المستمع أمرا يريده الله تعالى .

ثانيا :هنا مناسبة لفظية عجيبة فلفظة عظيم فى سورة الأعراف تتناسب مع ما بعدها ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)﴾ وكذلك قوله تعالى :﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)﴾ بينما لم ترد لفظة عظيم فى سورة هود.

١- القاموس المحيط ج ٤ ص ٧٥ مادة (ألم).

٢- جاء فى المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ج ١ ص٥٧٣ " وعَظُمَ الشيء أصله: كبر عظمه، ثم استعير لكلّ كبير، فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا، عينا كان أو معنى. قال: (عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)"

أما لفظة أليم فى سورة هود فتتناسب مع ما بعدها ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ وهذه الآية فى ختام قصة نوح فكان لفظ أليم فى أول القصة ثم ورد أيضا فى آخرها تحذيرا من الله تعالى وهذا من التناسب العجيب والأعجب منه ختام القصص الواردة فى سورة هود به فى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ ولم ترد لفظة أليم فى سورة مريم ولا فى السورتين السابقتين لها ولا فى التاليتين بعدها ، بينما وردت فى سورة الزخرف والسورتين قبلها وثلاث سور بعدها . ووردت مرة واحدة فى سورة الأعراف فى قصة صالح –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –الآية ٧٣.

ثالثا : المناسبة المعنوية بين لفظة (عظيم) والتكبُّرفالمستكبر يظن نفسه عظيما[١]. وقد وردت مادة (كبر) فى سورة الأعراف عشر مرات[٢].

و فى صدر السورة ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) ﴾ وختام السورة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ﴾ فأول السورة حديث عن تكبر إبليس وختامها حديث عن الملائكة وأُولى صفاتهم أنهم لا يستكبرون وبين ذلك الحديث عن الأمم الهالكة وسبب هلاكهم أنهم استكبروا فناسب أن يكون أول إنذارفيها من عذاب يوم عظيم .و لم يرد من ذلك شيء فى سورة هود.

١– يتضح ذلك أكثر فى سورة الأحقاف فى قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾ فلفظة عظيم ورد فى الآية السابقة لها لفظة تستكبرون .

٢– وهى: (تتكبر) الآية :١٣، و(استكبروا) فى الآيات: ٣٦ – ٤٠ –٧٥ – ٧٦ – ٨٨ – ١٣٣، (تستكبرون) الآية:٤٨ و(يتكبرون)الآية :١٤٦ ،(يستكبرون) الآية: ٢٠٦.

رابعـا :- (يـوم عظـيم) ورد هـذا التركيـب فـى القـرآن الكـريم عشـر مرات[١].و غالبا يقصد به يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾[المطففين :٤ ، ٥] [٢].و فى سورة الأعراف ذكر ذلك اليوم بكثير من التفصيل من الحديث عن أهل الأعراف والحوار بينهم وبين أهل الجنة وأهل النار والحوار بين أهل النار وأهل الجنة فناسب التحذير من عذاب يوم عظيم – القيامة – لسبق تفصيله فى السورة.

وفى سورة مريم أيضا تفصيل لذلك اليوم فى الآيتين التاليتين للموضع الوارد فيها من الإتيان يوم القيامة وإنذار يوم الحسرة ، كما ناسب فى سورة مريم لفظ (مشهد) لأن بعده و(أبصر) وقبله (ترين ، فأشارت).

– (يوم أليم) لم يرد فى القرآن الكريم إلا فى هذين الموضعين وقد يكون المقصود به فى سورة هود عذاب الاستئصال فى الدنيا لقوله تعالى فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ فاليوم الأليم هو اليوم الذى يأخذهم الله فيه بعذابه فى الدنيا وقد ذكر فى سورة هود ذلك اليوم بأكبر تفصيل من فوران التنور وركوب الفلك وحوار نوح مع ابنه ووصف الموج وارتفاعه كالجبال.

– العذاب العظيم أشد من العذاب الأليم لأن العذاب الأليم فى القرآن الكريم قد يكون من البشر مثل قوله تعالى :﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾ أما العذاب العظيم فى القرآن الكريم فلم يرد إلا من الله العظيم ، كما يتضح ذلك من المقارنة بين العذابين فى القرآن الكريم ففى سورة البقرة على سبيل المثال فى الآية السابعة مع الختم على القلوب

١– فى سور: الأنعام الآية:١٥، الأعراف :٥٩ ، يونس :١٥، مريم :٣٧ ، الشعراء:١٣٥،١٥٦،١٨٩ ، الزمر:١٣ ، الأحقاف:٢١ ، المطففين:٥.

٢– باستثناء موضع واحد فى سورة الشعراء الآية :١٨٩.

والأسماع كان العذاب العظيم بينما فى الآية العاشرة كان العذاب الأليم لأن القلوب وصفت فيها بالمرض وليس بالختم والختم أشد .

لذلك ورد فى سورة مريم (عذاب يوم عظيم) تهديدا ووعيدا لمن نسب إلى الله الولد – وهو قول عظيم – فى قوله تعالى :﴿ **مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)**﴾ بينما لم يرد ذلك فى سورة الزخرف فختمت الآية بقوله تعالى : (عذاب يوم أليم).

"و لذلك قال فى سورة مريم (فويل للذين كفروا) إذ الكفر أشد قبحا من الظلم فكان وصف من ذكر بالكفر فى المحل الذى استوفى فيه قصة عيسى أنسب من المحل الذى أجمل فيه ." [١].

وتلخيص ذلك : فى سورة مريم تفصيل قصة عيسى ونسبهم الولد لله ووصف من فعل ذلك بالكفر فكان توعده بمشهد يوم عظيم ، وفى الزخرف إجمال القصة ولم ينسبوا فيها الولد فوصفوا بالظلم وتوعدهم بعذاب يوم أليم .

الموضع الثامن عشر [٢].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ ﴾[هود: ١١]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾ [فاطر: ٧]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾ [الحديد: ٧]

١- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن للإمام زكريا الأنصارى ص ٣٥٦.

٢- (أَجْرٌ كَبِيرٌ) فِي القُرآنِ أَرْبَعُ ... فِي فَاطِرٍ مَعْ هُودِ وَالْمُلْكِ فَعُوا
وَكُلُّهَا مِنْ بَعْدِ ذِكْرِ الْمَغْفِرَةْ ... وَفِي الْحَدِيدِ رَابِعٌ مَا أَشْهَرَهْ
وَهْوَ الَّذِي تَلْقَاهُ فِيهَا سَابِقًا ... وَبَعْدَهُ (أَجْرٌ كَرِيمٌ) لاحِقًا
فِي مَوْضِعَيْنِ يَا أُخَيَّ مِنْهَا ... مَعْ حَرْفِ يَسِ ألا فَصُنْهَا

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾ [الملك: ١٢]

تشابه مع قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ ﴾ [يس: ١١]

و قوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١ ﴾ [الحديد: ١١]

و قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ ﴾ [الحديد: ١٨]

موضع التشابه : لفظ (كبير) تشابه مع لفظ (كريم) ، وهو من إبدال لفظ بلفظ.

التوجيه

أولا :التناسب اللفظى: فالسور التى وصف فيها الأجر بـ (كبير) ورد فيها لفظ كبير.

ففى سورة هود ورد قوله تعالى :﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾ ، وفى سورة فاطر ورد قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)﴾ وفى سورة الملك ورد قوله تعالى :﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾

وهذه المواضع جميعها سبقت بقوله تعالى مخبرا عن ذاته بأنه: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثانيا :تناسب الفواصل[١].:

حيث ختمت الفواصل السابقة لموضع سورة هود بحرف الراء عدا ثلاث ختمت بالنون ، وختمت الفواصل السابقة لموضع سورة فاطر بحرف الراء عدا فاصلتين ، وختمت الفواصل السابقة لموضع سورة الحديد بحرف الراء عدا فاصلتين وختمت الفواصل السابقة لموضع سورة الملك بحرف الراء جميعها فناسب ختامها بـ (كبير). وختام الفواصل فى سورة يس بالنون والميم فناسب ختامها بـ (كريم).

ثالثا :التناسب المعنوى:

الأجر الكبير هو الثواب العظيم ، والأجر الكريم هو الجنة[٢].

"و كلّ شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم. قال تعالى:فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ [لقمان/ ١٠] ، وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ [الدخان/ ٢٦] ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [الواقعة/ ٧٧] ، وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً [الإسراء/ ٢٣] .والإِكْرَامُ والتَّكْرِيمُ: أن يوصل إلى الإنسان إكرام، أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئا كَرِيماً، أي: شريفا، قال: هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ[الذاريات/ ٢٤] ." [٣].

ففى قوله تعالى أجر كريم منزلة أشرف من قوله تعالى أجر كبير "لأن الأجرالكريم زائد في الكم بالغ في الكيف "[٤].، ويتضح ذلك من النظر فى مواضع سورة الحديد ؛ فالموضع الأول فيها جاء بعد أمر لعموم الناس ﴿آمِنُوا

١- الفواصل جمع فاصلة وهى آخر كلمة فى الآية وهى مرادفة لرأس الآية. من كتاب بشير اليسر شرح ناظمة الزهر فى علم الفواصل ص ٤٠.

٢- هذا رأى غالب المفسرين ونص عليه ابن جرير الطبرى ج ٢٠ ص ٤٩٦،ج ٢٣ ص ١٧١،١٧٨.

٣- المفردات ج١ ص٧٠٧.

٤- روح المعانى ج ١٤ص١٧٢.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا ﴾ وبعده توبيخ:" ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا ﴾ توبيخ على ترك الإنفاق" [١].فختمت بـ (أجر كبير) .

أما الموضع الثانى منها فالحديث فيه عمن سبق من الصحابة الكرام بالإنفاق والقتال قبل الفتح وتعظيم الله تعالى لدرجتهم وقيل نزلت الآية في أبى بكر الصديق [٢].

كما أنها تتحدث عن إقراض الله قرضا حسنا – ولا يكون إلا طيبا من كريم – فناسب الختام بقوله تعالى : (وله أجر كريم) وكذلك الموضع الثالث فى السورة.

"والسر فى ذكر الأجر الكريم بعد بيان أن لهم أجرا كبيرا على الإطلاق حثا لهم على تحري الأفضل "[٣].

و فى سورة يس الحديث عمن اتبع القرآن الكريم وعمل به وخشى الرحمن بالغيب ولا شك فى أن منزلته عالية كما أن السورة مكية فالحديث فيها عمن سبق من الصحابة الكرام هذا مع بقاء اللفظ على عمومه.

الموضع التاسع عشر[٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٤٠]

١- روح المعانى ج ١٤ ص١٧١.

٢- رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ وَأَوَّلُ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ بِسَيْفِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ.**مفاتيح الغيب ج ٢٩ ص٤٥٤**

٣- روح المعانى ج ١٤ص١٧٢بتصرف يسير.

٤- (مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا) بِالأَلِفِ ... فِي سُورَةِ النَّجْمِ أَتَى وَيُوسُفَ

وقَالَ تعَالَى: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٌ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣]

تشابه مع قوله تعالى :

﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأعراف: ٧١]

موضع التشابه: (نزل) تشابه مع (أنزل) وهو من اختلاف صيغة الفعل.

التوجيه

أولا : " مَّا نَزَّلَ الله بِهَا مِن سُلْطَانٍ " وفى غيره "أَنْزَلَ " لأَنَّ أَفعل للتعدّى، وفَعَّل للتعدّى والتَّكثير، فذكر فى الموضع الأَوّل بلفظ المبالغة؛ ليجرى مجرى ذكر الجملة والتفصيل، أَو ذكر الجنس والنَّوع، فيكون الأَوّل كالجنس، وما سواه كالنَّوع." [١].

ثانيا : الفعل نزّل بالتضعيف يفيد الكثرة وقد ورد فى موضع سورة الأعراف وكان المتكلم بها سيدنا هود – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – والمُخاطَب قومه عاد والملاحظ فى هذا الموضع أنه الموضع الوحيد الذى ذكر فيه جدال الكفار وتمسكهم بأصنامهم﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) ﴾ كما أنه الموضع الوحيد المقرون بذكر الرجس والغضب من الله عليهم بخلاف موضعى يوسف والنجم

١– البرهان فى توجيه متشابه القرآنص٦٣ ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز أبادى ج ١ ص٢١٣، وقد نقلها عن الكرمانى.

كما أن عادا كانوا أكثر قوة وعنادا وتمسكا بعبادة الأصنام: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)﴾[هود].فكان التضعيف فى الفعل ليفيد التوكيد على بطلان عبادتهم لتلك الأصنام وردا على كثرة جدالهم .

الموضع العشرون(١).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ ﴾ [الحجر: ٣٦ – ٣٨]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ ﴾ [ص: ٧٩ – ٨١]

تشابه مع قوله تعالى :﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ﴾ [الأعراف: ١٤ – ١٦]

موضع التشابه ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾ ذكرت فى سورتى الحجر وص ولم تذكر فى سورة الأعراف، وهو من الحذف والإثبات .

التوجيه

ذَكَرَ الله تعالى قِصَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قِصَّةِ إِبْلِيسَ فِي الْقُرْآنِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ فِي سُورَ: الْبَقَرَةِ والأعراف والْحِجْرِ والإسراء والْكَهْفِ وطه وص.

أولا : يلاحظ فى القصة فى سورة الأعراف الإيجاز ، وفى سُورَتى الحجر وص الإطناب لذلك ذكر فيهما (إلى يوم الوقت المعلوم).

١- وَإِنْ قَرَأْتَ (الْمُنْظَرِينَ) فَاقْرَا ... مَعْهُ (إِلَى يَوْمٍ) وَأَنْعِمْ ذِكْرَا
فَذَاكَ حَرْفُ آيَةٍ قَدْ زَادَا ... أَوْدَعَهَا الْحِجْرَ نَعَمْ وَصَادَا

" ألا ترى أن مجموع الكلم الواقعة من لدن قوله فى سورة الأعراف "ولقد خلقناكم " وهو ابتداء القصة إلى قوله: ﴿قال أنظرنى إلى يوم يبعثون ﴾ بضع وأربعون كلمة، والوارد فى الحجر من لدن قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ﴾ إلى قوله: ﴿قال رب فأنظرنى ﴾ بضع وسبعون كلمة وفى سورة ص من لدن قوله ﴿إذ قال ربك ﴾ إلى الآية بضع وستون كلمة، فقد وضح ما قصد فى الأعراف من إيجاز الأخبار فى القصة وما فى السورتين – الحجر وص – من الإطناب ثم إنه ورد فى سورتى الحجر وص التأكيد بكل وأجمع فى قوله: ﴿كلهم أجمعون ﴾ وتناسب الإطناب والتأكيد ولم يرد ذلك فى الأعراف." [١].

ثانيا : سورة الأعراف تتحدث عن خلق الإنسان وتكريم الله له وتحذيره من فِتَن الشيطان واتخاذه وليا موجها الخطاب لبنى آدم فأول القصة﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾ ، وآخرها ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾

بينما فى سورتى الحجر وص لم يُذكَر آدم فالحديث عن إبليس وتكبره بدليل النداء له (يا إبليس) ، وذكر الحوار معه بإطناب وتفصيل ، وأول القصة الحديث عن سجود الملائكة وامتناع إبليس كل ذلك بأسلوب الغيبة لا الخطاب ؛ ففى سورة الحجر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ وفى ص ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا

١- ملاك التأويل ج١ ص ١٧٨.

لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾ فناسب فيهما (إلى يوم الوقت المعلوم) لأن الحديث فيهما عن إبليس ولعن الله له

ثالثا : اشتركت السورتان الحجر وص فى: ذكر أصل الخلق (صلصال ، طين) ، التوكيد(كلهم أجمعون) ، يا إبليس ، اللعن ، رب ، الفاء فى(فأنظرنى – فإنك) ، إلى يوم الوقت المعلوم . ولم يذكر منه شيء فى الأعراف.

وسبب التحديد (إلى يوم الوقت المعلوم) فى السورتين لتقدم إخبار الله بلعنه له، فكأن إبليس قال: يا رب إن لعنتني فأخر أجلي إلى يوم يبعثون، فلم تقع الإجابة إلى ما طلب، لأن الله تعالى أجابه: (إلى يوم الوقت المعلوم) أي: إلى الوقت الذي هو آخر أوقات الأحياء فرفض طلبه لسبق لعنه.

" السؤال فى الأعراف مقيد بقوله (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) والجواب مطلق، وهو قوله:(إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) أي أنت من الذين أخر أجلهم في حكمي ، وأما ما في الحجر وص، وإن كان إخبارا يجري مجرى الجواب لا استجابة لدعوته لأنه سأل النظرة إلى يوم القيامة، فقال الله سبحانه (إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) قال بعض المفسرين: أراد اللعين أن يهرب من الموت فلم يستجب إليه." [١].

الموضع الحادى والعشرون[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥]

١- غرائب التفسير وعجائب التأويل ج١ ص٣٩٨. و**كذلك دخول الفاء في الموضعين وقوله (رب) لسبق لعن الله له والمعنى: إن آيستني من رحمتك فأخر أجلي لأنال من عدوي فجاءت الإجابة بالفاء (فإنك) للمطابقة اللفظية.**

٢- (وَمَا خَلَقْنَا) بَعْدَهُ قَدْ جُمِعَا ... لَفْظُ (السَّمَوَاتِ) بِجِرٍ وَقَعَا
وَبِالدُّخَانِ يَا أَخَا السَّدَادِ ... وَسَائِرُ الْبَابِ عَلى الإِفْرَادِ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الدخان: ٣٨]

تشابهتا مع قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٦]

و قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢٧]

موضع التشابه :جمع السموات فى الحجر والدخان وإفرادها فى الأنبياء وص

التوجيه

المواضع الواردة بالجمع ورد معها التوكيد بالنفى (ما) والاستثناء (إلا) وهو أعلى درجات التوكيد ، كما ورد معها لفظ (الحق) ولم يرد فى القرآن الكريم مع السماء مفردة بل ورد مع السموات مجموعة فتناسب الجمع – تفخيما لأمر الخلق – مع التوكيد الشديد مع لفظ الحق لتكذيب المشركين ولقصد تَسْلِيَةُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا لَقِيَهُ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ .

و أما الإفراد فالقصد منه إظهار الحكمة فيما يرونه من خلق السماء وارتفاعها فخاطبهم بما يرونه ويقرون به، لذا ذكر معه (الكتاب) الذى يعرفونه ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)﴾ [الأنبياء]

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾[ص] فتناسب الإفراد فى السماء مع الكتاب لأنه خاطبهم بما يعرفون ويقرون بالحكمة فيه.

ففى الأنبياء "لما كان خلق السماء واحدة يكفي في الدلالة على الحكمة فكيف بأكثر منها! وحّد فقال: (السماء) أي على علوها وإحكامها.... كذلك لم يذكر إلا ما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته فوحد السماء هنا." [١].

و فى ص "لما كان السياق لما وقع من الشقاق عناداً لا جهلاً، ذكر ما لا يمكن النزاع فيه مع أن اللفظ للجنس فيشمل الكل فقال: (السماء) أي التي ترونها." [٢].

أما فى الحجر فقد ورد قوله تعالى: (إن ربك هو الخلاّق) أي الفاعل للخلق مرة بعد مرة ؛ فتناسب الجمع مع لفظ (الخلَّاق).

و فى الدخان" لما كان الكلام للاستدلال على الجزاء يوم القيامة: فإنا ما خلقنا الناس عبثاً يبغي بعضهم على بعض ثم لا يؤاخذون، عطف عليه ما هو أكبر في الظاهر منه فقال: (وما خلقنا السماوات) أي على عظمها واتساع كل واحدة منها واحتوائها لما تحتها، وجمعها لأن العمل كلما زاد كان أبعد من العبث "[٣].

الموضع الثانى والعشرون[٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾ [الأنعام: ٦]

١- نظم الدرر ج ١٢ ص ٣٩٩.
٢- نظم الدرر ج ١٦ ص ٣٧١.
٣- نظم الدرر ج ١٨ ص ٣٨.ورد النفى والاستثناء ولفظ (الحق) فى سورة الدخان فى الآية التالية "مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)"
٤- (أَلَمْ يَرَوْا) بِغَيْرِ وَاوٍ زَائِدَةْ ... فِي النَّحْلِ جَاءَ فِي الأَخِيرِ وَاحِدَةْ وَالنَّمْلِ وَالأَنْعَامِ وَالأَعْرَافِ ... وَحَرْفِ يَسِ بِلا خِلافِ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل: ٧٩]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[النمل: ٨٦]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يس: ٣١]

تشابه مع غيره من المواضع الواردة بالواو بعد الهمزة مثل قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) ﴾ [يس: ٧١]

موضع التشابه حذف الواو فى المواضع الخمسة المذكورة وإثباتها فى غيرها.

التوجيه

الواو حرف عطف يستخدم هنا فى الإنكار والتقريع والإخبار ، وما بعد الواو معطوف على كلام مثله ويكون فى المشاهد المرئى وما فى حكمه وطريق معرفته سهل وأمثلته كثيرة ؛ لذلك كان الإنكار فيه أشد .

و ما حذف فيه الواو ليس فيه عطف على كلام مثله ويكون فيما يحتاج إلى تفكير وبحث واستدلال .

ولنوضح ذلك ننظر إلى موضعى سورة يس الآية ٣١ ، والآية٧١ الأولى تتحدث عن هلاك القرون السابقة وهو أمر لم يروه بل عرفوه بالاستدلال أو سمعوا عنه فكان الاستفهام المنفى فقط (ألم) ، والآية الثانية وما بعدها تتحدث عن الأنعام وتذليلها وما فيها من منافع وهو أمر يرونه كثيرا ويعرفونه وهو طريق واضح يدل على الخالق سبحانه فكان مع الاستفهام المنفى العطف

بالواو (أولم) الذى يدل على جملة محذوفة أى : أ كذبوا ولم يروا الأنعام وتذليلها وما فيها من منافع.

وقد يعترض على هذا بأن آية سورة النحل تتحدث عن الطير وهو أمر مرئى والجواب " لأن قبل هذه الآية: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [النحل: ٧٨]" [١].و إخراجهم من بطون أمهاتهم أمر لم يروه .

و كذلك موضع سورة النمل قبله وبعده الحديث عن يوم القيامة .

والذى أراه أن المواضع المعطوفة بالواو التهديد فيها أشد لأنه يدل على جملة محذوفة (كذبوا) ولأن جميع هذه المواضع سُبق بالوعيد ، ويتضح ذلك من المقارنة بين الآية السادسة من سورة الأنعام والآية السابعة من سورة الشعراء" آية الشعراء فإن قوله تعالى قبلها: ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ (تحريك وتنبيه)، ثم إن قوله تعالى:﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ وإن كان تسلية لنبينا – صلى الله عليه وسلم – فى طيه أعظم وعيد وتهديد لمن اعتبر ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ إلى ما بعده فهذا أوضح تنبيه بما صحبه من مخوف التهديد فعطف عليه قوله: ﴿ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها ﴾ [٢].

١– درة التنزيل ج ٢ ص ٤٨٥.و على هذا التوجيه سار غالب الأئمة من بعده مثل الكرمانى فى قوله " (ألم يرَوا كم أهلكنا) فِي بعض الْمَوَاضِع بِغَيْر وَاو كَمَا فِي هَذِه السُّورَة وَفِي بَعْضهَا بِالْوَاو وَفِي بَعْضهَا بِالْفَاءِ هَذِه الْكَلِمَة تَأْتي فِي الْقُرْآن على وَجْهَيْن أحدهمَا مُتَّصِل بِمَا كَانَ الِاعْتِبَار فِيهِ بِالْمُشَاهَدَةِ (الرؤية)فَذكره بِالْألف وَالْوَاو لتدل الْألف على الِاسْتِفْهَام وَالْوَاو على عطف جملَة على جملَة قبلهَا وَكَذَا الْفَاء لَكِنَّهَا أَشد اتِّصَالًا بِمَا قبلهَا وَالْوَجْه الثَّانِي مُتَّصِل بِمَا الِاعْتِبَار فِيهِ بالاستدلال(النظر والتأمل) فاقتصر على الْألف دون الْوَاو وَالْفَاء لتجري مجْرى الِاسْتِئْنَاف . البرهان ج ١ ص ١٠٥

٢– ملاك التأويل ج ١ ص ١٤١.

الموضع الثالث والعشرون[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٢]

تشابه مع قوله تعالى :

موضع التشابه : إثبات إذاً فى الشعراء وإضمارها فى الأعراف .

التوجيه

أولا : سورة الأعراف مبنية على الإيجاز فى هذا الموقف بينما بنيت سورة الشعراء على الإطناب والتكثيرو التوكيد فذكر فيها ما لم يذكر فى غيرها فتجد فيها : " (بسحره) ، و(ابعث) التى تدل على الكثرة فى المبعوثين ، و(سحَّار) – صيغة مبالغة – ، (للناس) ، والاستفهام (أئن لنا) ، وتكرار لفظ (السحرة) أربع مرات – ضعف ما فى الشعراء – ، ولام التوكيد (فلسوف تعلمون) فناسب وضع (إذا) – حرف جواب – فى هذا الموضع كما أن هذه اللفظة ذكرت فى نفس القصة على لسان سيدنا موسى ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [الآية:٢٠].

ثانيا : الموقفان مختلفان فآية الأعراف قيلت لعموم السحرة عندما جاءوا فرعون فى قصره قبل يوم الزينة ، وآية الشعراء قيلت لرءوس السحرة وعظمائهم عندما جاءوا فرعون يوم الزينة بعد حضور الناس بدليل قوله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) ﴾ فالمبالغة تدل على أنهم مهرة متفوقون على غيرهم ، كما أن سورة الشعراء ذكرت مجىء السحرة بعد اجتماع الناس لقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) ﴾ ؛ فعندما رأى فرعون

١- (قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ) فِي الشُّعَرَا ... بعد (إِذَا) زَائِدَةٌ بِلا امْتِرَا

اجتماع الناس وجنده وحضور أمهر السحرة وكثرتهم وتأكيدهم على الغلبة – بقولهم أئنّ – ظن أنه الغالب فأجاب (إذاً) توكيدا لتيقنه الغلبة .

الموضع الرابع والعشرون[١].:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢ ﴾ [النمل: ١٢]

تشابه مع قوله تعالى:

﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ ﴾ [القصص: ٣٢]

موضع التشابه : قوله تعالى: (أدخل) فى النمل تشابه مع قوله تعالى (اسلك) فى القصص وهو من اختلاف لفظ الفعل.

التوجيه

أولا : اسلك كلمة فيها إجمال [٢].و هو فعل ثلاثى لذلك ورد معه ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ ، وختمت الآية بقوله تعالى : ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ ، بينما أدخل فعل رباعى – والزيادة فى المبنى تتطلب زيادة فى المعنى – لذلك ورد معه ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾ والقوم أعم من الملأ ، وختمت الآية بقوله تعالى:﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾.

١– وآية فِي النَّمْلِ (أَدْخِلْ يَدَكَا) ... فى قصص (اسلك) قَدَ اوْضَحْتُ لَكَا. وقد ورد بروايات مختلفة.

٢– فالسُّلُوكُ: النّفاذ في الطّريق وورد فى القرآن على وجوه:

الأَوّل: بمعنى الإدخال: (اسلك يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) ، (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) .

الثَّانى: بمعنى الجَعل: (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رصدا) أَى يجعل.

الثالث: بمعنى التكليف: (يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً) .

الرّابع: بمعنى التَّرك والإهمال: (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ) .بصائر ذوى التمييز ج ٣ ص٢٥٠.

ثانيا : "﴿ وَأدْخل يدك فِي جيبك ﴾ وَفِي الْقَصَص ﴿اسلك يدك﴾ خصت هَذِه السُّورَة بأدخل لِأَنَّهُ أبلغ من قَوْله (اسلك) لِأَن (اسلك) يَأْتِي لَازِما ومتعديا وَ(أدْخل) مُتَعَدٍّ لَا غير وَلِأَن فِي هَذِه السُّورَة (فِي تسع آيَات) أَي مَعَ تسع آيَات مُرْسلا إِلَى فِرْعَوْن ، وخصت الْقَصَص بقوله (اسلك) مُوَافقَة لقَوْله (اضمم) ثمَّ قَالَ (فذانك برهانان من رَبك) فَكَانَ دون الأول فَخص بالأدنى وَالْأَقْرَب من اللَّفْظَيْنِ [١].

وردت القصيدة فى بعض النسخ فى هذا الموضع بزيادة ألفاظ[٢].

الموضع الخامس والعشرون[٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [لقمان: ٢٩]

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآنج١ ص ١٩٢.

٢- قَوْله فى النمل : (وألق عصاك) وَفِي الْقَصَص (وَأَن ألق عصاك) لِأَن فى النمل قوله تعالى:(يَا مُوسَى إِنَّه أَنا الله الْعَزِيز الْحَكِيم (٩)) حال بين :(نُودي أَن بورك من فِي النَّار وَمن حولهَا وَسُبْحَان الله رب الْعَالمين (٨)) وبين (وألق عصاك) فحذفت أن.

وَفِي الْقَصَص (أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنا الله رب الْعَالمين وَأَن ألق عصاك) فَلم يكن بَينهمَا جملَة أُخْرَى عطف بهَا على الأول فَحسن إِدْخَال (أن).

و ورود قوله تعالى :(يَا مُوسَى إِنَّه أَنا الله الْعَزِيز الْحَكِيم (٩)) فى النمل تناسبا مع السياق قبلها (من لدن حكيم عليم) و(وتوكل على الله العزيز الرحيم) .

وَفِي الْقَصَص (أقبل وَلَا تخف)لأن المقام فى القصص مقام تفصيل – السورة من مطلعها تتحدث عن نبأ موسى وفرعون – فناسب الزيادة فى حق موسى (أقبل) بينما فى النمل الحديث عنه وعن غيره من المرسلين ؛ فناسب (لا يخاف لدى المرسلون).

٣- وَبَعْدَ (يَجْرِي) لَمْ يَقَعْ (إِلى أَجَلْ) ... إلا بِلُقْمَانَ فَسِرْ عَلَى عَجَلْ
وَجَاءَ فِي الشُّورَى وَلَيْسَ قَبْلَهُ ... (يَجْرِي) فَفَكِّرْ فِيهِ وَاعْرِفْ فَضْلَهُ

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ ﴾ [الشورى: ١٤]

موضع التشابه قوله تعالى :(يجرى إلى أجل مسمى) فى لقمان تشابه مع مواضع سورالرعد وفاطر والزمر (يجرى لأجل مسمى) وهو من إبدال حرف بحرف .

و موضع سورة الشورى تشابه مع مواضع سور يونس وهود وطه وفصلت وهو من الحذف والإثبات.

التوجيه

أولا : إلى: حرف جر يفيد الانتهاء (النهاية)؛ فقوله تعالى :(يجرى إلى أجل مسمى) أى يجرى إلى أن يصل إلى نهاية الأجل (القيامة) .

واللام حرف جر يفيد التعليل ؛ فقوله تعالى (يجرى لأجل مسمى) أى يجرى لتحقيق أمر الله

و موضع لقمان يتحدث عن نهاية الخلق بينما مواضع الرعد وفاطر والزمر تتحدث عن بداية الخلق وهذا من التناسب العجيب .

"إن معنى قوله عزوْجل: (يجري لأجل مسمّى) لبلوغ أجل، ومعنى قوله: (يجرِي إلى أجل) معناه: لا يزال كلّ من الشمس والقمر جاريا حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمّى له، وإنما خص ما في سورة لقمان بـ "إلى" التي للانتهاء، واللام تؤدي معناها، لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)

. وبعدها: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا) ، فكان المعنى: كلّ يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكوّر فيه الشمسُ وتنكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى.

وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هى في الإخبار عن ابتداء الخلق،و قبلها ذكر نعم الخالق ؛ فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها، واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها." [١].

و أما موضع الشورى : فلأن قبله (من بعد ما جاءهم العلم) ومن تفيد الابتداء فتناسبت مع إلى التى تفيد الانتهاء " فأما اختصاص ما في سورة حم عسق بذكر النهاية في قوله: (إلى أجل) فلأن قبله: (وما تفرقرا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ، فأخبر مبتدأ كفرهم وهو إنكارهم بعد مجيء العلم، أي: القرآن والآيات التي أوقعت العلم بصحة ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ فلما قال: (إلا من بعد ما جاءهم) مَن، لابتداء الغاية، وكان ذلك ابتداء كفرهم فذكرت النهاية التي أمهلوا إليها ليكون ابتداء عقابهم، فيكون الحد مذكورا مع الحد –أى محدود الطرفين –." [٢].

ثانيا : فى لقمان إلى أجل " وَافَقَ مَا قبلهَا وَهُوَ قَوْله (وَمن يسلم وَجهه إِلَى الله) وَالْقِيَاس لله كَمَا فِي قَوْله (أسلمت وَجْهي لله) لكنه حمل على الْمَعْنى

١– درة التنزيل ج ١ ص ١٠٥٧. وهذه الآيات هى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) ﴾ [الرعد]

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)﴾ [فاطر]

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) ﴾ [الزمر]

٢– درة التنزيل ج ١ ص ١١٥١. والمواضع التى وردت بالحذف هى:﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾ [يونس]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[هود :١١٠] ، و [فصلت :٤٥] ،

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩) ﴾ [طه]

أَي يقْصد بِطَاعَتِهِ إِلَى الله وَكَذَلِكَ (يجْرِي إِلَى أجل مُسَمّى) أَي يجْرِي إِلَى وقته الْمُسَمّى لَهُ "[١].

الموضع السادس والعشرون[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ٢٠]

تشابه مع قوله تعالى :

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سبأ:٤٢]

موضع التشابه : اختلاف الاسم الموصول (الذى) فى السجدة ، و(التى) فى سبأ.

التوجيه

أولا : الاسم الموصول (الذى) فى محل نصب نعت لـ (عذاب) ، و(التى) فى محل جر نعت لـ (النار)؛ فكان النعت للعذاب فى السجدة " **لأن** آية السجدة اقترن بها قوله تعالى: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) [السجدة: ٢١] ، فلما تفصل ذكر العذاب إعلاماً بإلحاق ضريبة الأدنى والأكبر بمن جرى الوعيد لهم، والعذاب مُذكَّر، وقد تكرر، فناسبه عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكراً ليجري ذلك كله مجرى واحداً. ولما لم يكن يتلو آية سورة سبأ ولا قبلها ما يستدعي ذلك، أعيد الضمير إلى النار مؤنثاً، ليحصل في السورتين ورود الوجهين الجائزين كما تقدم مع التناسب، والله أعلم." [٣].

ثانيا : فِي سبأ لم يتَقَدَّم ذكر النَّار قبل فَحسن وصف النَّار[٤].

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآنج ١ ص ١٥١.

٢- (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ) يتْلُوهُا (الَّذِي) ... فِي السَّجْدَةِ اقْرَأْهُ وَبِالْجِدِّ خُذِ

١- ملاك التأويل ج ٢ ص ٤٠٤.

٢- البرهان فى توجيه متشابه القرآن ج ١ ص ٢٠٥.

ثالثا : الذى أراه أَنَّ الَّذِي فِي السَّجْدَةِ فِي حَقِّ مَنْ يُقِرُّ بِالنَّارِ وَيَجْحَدُ الْعَذَابَ أو يجحد أن يُعذَّب وَفِي سَبَأٍ فِي حَقِّ مَنْ يَجْحَدُ أَصْلَ النَّارِ فأول سَبَأٍ إنكار الكفار للساعة (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) والآية موضع التشابه تتحدث عن الذين ظلموا ويلزم منه الكفر أما آية السجدة فتتحدث عن الذين فسقوا.

الموضع السابع والعشرون(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ [ص: ٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القمر]

موضع التشابه الأول : اختلاف الفعل (أَءُنزِلَ) فى ص ، و(أَءُلْقِىَ) فى القمر.

الثانى : تقديم الجار والمجرور (عليه) فى ص ، وتأخيره فى القمر.

التوجيه

أولا: موضع سورة ص ورد على لسان الكفار بالنبى محمد- صلى الله عليه وسلم -) تكبرا وعنادا فحديثهم عن القرآن الكريم والنبى - صلى الله عليه وسلم - لأن الفعل (أنزل) بمعنى نزّل الذى يفيد التكرار والنزول مرة بعد مرة وهو يرد عند الحديث عن القرآن الكريم لأنه نزل منجما بخلاف غيره من الكتب . أما تقديم الجار والمجرور الضمير العائد إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فيقصدون به إنكار أن يكون محمد - صلى الله عليه وسلم - أهلا لنزول القرآن الكريم كما ذُكر فى سورة الزخرف ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾.

و موضع سورة القمر يتحدث عن ثمود وكانت الكتب قبل تنزل جملة واحدة فتحدثوا بما يعلمون فقالوا : (أَءُلْقِىَ) ولم يتكبروا تكبر قريش .

١- (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ) فِي الْقَمَرْ ... وَقُلْ (عَلَيْهِ الذِّكْرُ) فِي صَادِ اشْتَهَرْ
وَقَبْلَهُ (أَأُنْزِلَ) اسْتَقَرَّا ... أَلْهَمَكَ اللهُ لِذَاكَ شُكْرَا

ثانيا: " قَوْله (أأنزل عَلَيْهِ الذّكر من بَيْننَا) وَفِي الْقَمَر (أؤلقي الذّكر عَلَيْهِ من بَيْننَا) لِأَن مَا فِي هَذِه السُّورَة حِكَايَة عَن كفار قُرَيْش يجيبون مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِين قَرَأَ عَلَيْهِم (وأنزلنا إِلَيْك الذّكر لتبين للنَّاس) ؛ فَقَالُوا:(أأنزل عَلَيْهِ الذّكر من بَيْننَا) .

وَمَا فِي الْقَمَر حِكَايَة عَن قوم صَالح وَكَانَ يَأْتِي الْأَنْبِيَاء يَوْمئِذٍ صحف مَكْتُوبَة وألواح مسطورة كَمَا جَاءَ إِبْرَاهِيم ومُوسَى فَلهَذَا قَالُوا (أؤلقي الذّكر عَلَيْهِ) مَعَ أَن لفظ الْإِلْقَاء يسْتَعْمل لما يسْتَعْمل لَهُ الْإِنْزَال." [١].

وقوله تعالى: (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أَيْ: مَا أُنْزِلَ

الموضع الثامن والعشرون[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٥]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح]. **تشابها مع قوله تعالى :**

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب]

و قوله تعالى :﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب]

موضع التشابه : وصف (سنة) بالاسم الموصول (التى) فى موضعى غافر والفتح ، وحذفه من موضعى الأحزاب.

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآن ج ١ ص ٢١٦. هذا ومعنى الإلقاء كما ورد عن الراغب: "طرح الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التّعارف اسما لكلّ طرح."و منه : (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦)) [القصص] (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)) [طه]،(فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)[القصص:٧]،(وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧))[ق]،(تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)[الممتحنة/ ١].فهو وضع الشيء بعناية حيث تراه، ويحمل عليه (ألقى الأواح).

٢- قُلْ (سُنَّةَ اللهِ الَّتِي) فِي الْمُؤمِنِ ... وَالْفَتْحِ وَاقْرَأْهُ عَلَى تَيَقُّنِ

التوجيه

أولا: الاسم الموصول (التى) فى محل نصب نعت لـ (سنة) ؛ فالحديث تأكيد لوقوع هذه السنة.

أما استخدام الاسم الموصول (الذين) فالحديث عمن وقعت فيهم تلك السنة

" والتَّقْدِير فِي الْآيَات سنة الله الَّتِي قد خلت فِي الَّذين خلوا. فَذكر فِي كل سُورَة الطّرف الَّذِي هُوَ أَعم وَاكْتفى بِهِ عَن الطّرف الآخر وَالْمرَاد بِمَا فِي أول سُورَة الأحزاب : **النِّكَاح** ؛ نزلت حِين عيروا رَسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بنكاحه زَيْنَب فَأنْزل الله (سنة الله فِي الَّذين خلوا من قبل) أَي النِّكَاح سنة فِي النَّبِيين على الْعُمُوم وفيه تبكيت اليهود بذكر سنة أنبيائهم ، و بعده (الذين يبلغون رسالات الله) فتناسب الاسمان الموصولان.

وَالْمرَاد بِمَا فِي آخِرها **الْقَتْل** نزلت فِي الْمُنَافِقين والشاكِّين الَّذين فِي قُلُوبهم مرض والمرجفين فِي الْمَدِينَة على الْعُمُوم ، وقبله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) ، (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا)؛ فتناسب الجمع فى الأسماء الموصولة لأنها جميعا تتحدث عن المنافقين.

وَمَا فِي سُورَة الْفَتْح يُرِيد بِهِ نصْرَة الله لأنبيائه .والعموم فِي النُّصْرَة أبلغ مِنْهُ فِي النِّكَاح وَالْقَتْل ؛ لذا وصف سنة الله بقوله التى خلت من قبل.

و فِي غَافِر فَإِن المُرَاد بهَا عدم الِانْتِفَاع بِالْإِيمَان عِنْد الْبَأْس فَلهَذَا قَالَ (التى قد خلت) [1].

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآنج ١ ص ٢٠٧بتصرف.

باب البـــــــاء

الموضع الأول(١).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء]

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة] .

تشابهت مع غيرها من المواضع مثل :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة] (٢).

١- وَحَرْفُ (بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ) أَتَى ... فِي الْبَقَرَهْ مُقَدَّمًا قَدْ ثَبَتَا لَكِنَّ (بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ) ... فِي تَوْبَةٍ وَفِي النِّسَا يَا قَوْمِ

٢- وغيره من المواضع مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[التوبة]

و قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [التوبة].

موضع التشابه: إثبات الباء (باليوم) فى المواضع الثلاثة وحذفها فى باقى المواضع .

التوجيه

تكرار الباء يكون للتوكيد ، والحديث فى الآيات عن المنافقين المرائيين والمشركين الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق وهذان الصنفان هما أقبح الأصناف ، أما المواضع الواردة بحذف الباء فتتحدث عن المؤمنين وموضع منها يتحدث عمن ارتابت قلوبهم.

"قَوْله ﴿آمنا بِاللَّه وباليوم الآخر﴾ لَيْسَ فِي الْقُرْآن غَيره تكْرَار الْعَامِل مَعَ حرف الْعَطف لَا يكون إِلَّا للتَّأْكِيد وَهَذِه حِكَايَة كَلَام الْمُنَافِقين وهم أكدوا كَلَامهم نفيا للريبة وإبعادا للتُّهمَةِ فَكَانُوا فِي ذَلِك كَمَا قيل يكَاد الْمُرِيب يَقُول خذوني فنفى الله الْإِيمَان عَنْهُم بأوكد الْأَلْفَاظ فَقَالَ ﴿وَمَا هم بمؤمنين﴾ وَيكثر ذَلِك مَعَ النَّفْي وَقد جَاءَ فِي الْقُرْآن فِي موضِعين فِي النِّسَاء ﴿وَلَا يُؤمنُونَ بِاللَّه وَلَا بِالْيَوْمِ الآخر﴾ وَفِي التَّوْبَة ﴿قَاتلُوا الَّذين لَا يُؤمنُونَ بِاللَّه وَلَا بِالْيَوْمِ الآخر﴾ "[1].

الموضع الثانى[2].

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣]

.تشابه مع قوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآنج ١ ص ٦٧.

٢- (بِهِ لِغَيْرِ اللهِ) قُلْ فِي الْبَقَرَةْ ... قَدَّمَهُ وَفِي سِوَاهَا أَخَّرَهْ

وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ ﴾ [المائدة: ٣] (١).

موضع التشابه: تقديم (به) فى موضع البقرة وتأخيره فى باقى المواضع.

التوجيه العرب يقدمون الذى هو أهم لهم وهم ببيانه أعنى.

أولا: الأصل تقديم حرف الباء لأن الفعل (أُهل) يتعدى به ؛ فآية البقرة وردت على الأصل ، أما المواضع الثلاثة الأخرى فتقديم اللام لأن الإهلال لغيرالله أمر مستنكر .

" فَكَانَ الْموضع الأول أولى بِمَا هُوَ الأَصْل ليعلم مَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظ ثمَّ قدم فِيمَا سواهَا مَا هُوَ المستنكر وَهُوَ الذّبْح لغير الله." (٢).

"أما الموضع الأول فإنه جاء على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ، لأن الباء التي يتعدى بها الفعل في هذا المكان من جملة الباءات التي كحرف من نفس الفعل، تقول: ذهبت بزيد، ثم تقول: أذهبت زيدا، فتصير الباء كالهمزة المزيدة في بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم... ..ولما كان الإهلال بالمذبوح لا يستنكر إلا إذا كان لغير الله، كان ما عدا الأصل بالتقديم المستنكر أحق وأولى." (٣).

١- وقوله تعالى :﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ ﴾[الأنعام]

و قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ ﴾ [النحل] .

٢- البرهان فى توجيه متشابه القرآن ج ١ ص٨١.

٣- درة التنزيل وغرة التأويل ج ١ ص ٣١٩.

ثانيا: آية البقرة تتحدث عن نعم الله تعالى على عباده وتبين ما أباح لهم من المطعم بدليل **النداء** قبلها (يا أيها الناس) ، و(يا أيها الذين ءامنوا) .

و كذلك **الأمر** (كلوا) الذى تكررمرتين ، وذكر (حلالا طيبا) ، و(**طيبات**). فناسب تقديم الباء بخلاف بقية المواضع فإنها تتحدث عن المحرمات وتذكر مظاهر الشرك والمستنكر منهم وهو الإهلال لغير الله فناسب تقديم اللام .

"وآية البقرة قد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض ﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ، فورد تعريفهم بذكر ما أبيح لهم وورد ما يقصد إيجابه وندبيته وإن كان إنما يراد بها هنا الإباحة مفتتحا بنداء المخاطبين ومعقبا فيه ما أعلموا بإباحته لهم بالأمر بالشكر الجليل تلك النعمة وعظيم التوسعة فيها من قوله تعالى: ﴿مما فى الأرض ﴾ وقوله ﴿من طيبات ما رزقناكم ﴾ فلتوسعة الإحسان والإنعام أمروا بالشكر." [1].

ثالثا: سورة البقرة تتناول العبادات بتفصيل (الصلاة والصيام والحج والعمرة والزكاة) وأول نداء فيها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[الآية ٢١:] فهى تتحدث عن العبادة فناسب (أهل به) لأن الإهلال عبادة – وهو رفع الصوت بذكر اسم المذبوح له –.

أما سورة المائدة فتتناول قضية كفر أهل الكتاب ، وسورتا الأنعام والنحل تتناولان قضية الشرك فناسب تقديم (لغير الله) لأن هذا من الشرك .

١- درة التنزيل وغرة التأويل ج ١ ص ٣١٩.و ورد فى تفسير الطبرى ج٣ ص٣١٧: قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: لا تُحرموا على أنفسكم ما لم أحرمه عليكم أيها المؤمنون بالله وبرسوله منَ البحائر والسوائب ونحو ذلك، بَل كلوا ذلك، فإني لم أحرم عليكم غير الميتة والدم ولحم الخنزير، ومَا أهلّ به لغيري.

رابعا : سورة البقرة مدنية بينما الآية موضع التشابه فى سورة المائدة نزلت بمكة وسورتا الأنعام والنحل مكيتان ؛ فكأن الإشارة هنا إلى المكان الذى (أهل لغير الله به) فيه وما ينبغى أن يشرك فيه لأنه موضع المسجد الحرام ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)﴾ [الحج].أى عندما نزلت الآية بمكة قدم (لغير الله)أى ماينبغى أن يكون الشرك فى هذا المكان.

الموضع الثالث(١).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

تشابه مع قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة:١٤٥] (٢).

موضع التشابه :

١ – إثبات حرف الجر(مِن) فى موضعين هما [الآية :١٤٥] من سورة البقرة ، و[الآية: ٦١] من سورة آل عمران ، وحذفه فى غيرهما .

١– وَاقْرَأْ بِهَا (بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ) ... وَبَعْدَهُ (مِنْ بَعْدِ مَا) وَلا تَهِنْ وَآلُ عِمْرَانَ بِهَا (مِنْ بَعْدِ مَا) ... وَالرَّعْدُ فِيهَا (بَعْدَ مَا) قَدْ عُلِمَا

١– وقوله تعالى :﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ آل عمران: ٦١

و قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد: ٣٧

٢ – ورود الاسم الموصول (الذى) فى [الآية : ١٢٠] من سورة البقرة فقط ، و(ما) فى غيرها.

التوجيه

من : تفيد الابتداء فهى تخصص الوقت ، الذى : اسم موصول خاص وفى التعريف والوصف أبلغ ، ما : اسم موصول مشترك .

الموضع الأول من سورة البقرة يقصد بالعلم : العلم الشامل أى دين الله تعالى – الإسلام – بدليل قوله تعالى قبله: (حتى تتبع ملتهم) وشدة الوعيد بعده (ولا نصير).لذلك جاء الاسم الموصول الذى لأنه الأصل كما أن العلم هنا هو أصل العلوم.

و باقى المواضع فالمقصود بالعلم فيها إما القبلة وإما أن عيسى بشر مخلوق وإما العلم بالقرآن الكريم ، وكلها تابعة للعلم قبلها فجاء الاسم الموصول (ما) التابع للذى فى المعنى.

"جعل مَكَان (الَّذِي) (مَا) وَزَاد فِي أَوله (مِن) لِأَن الْعلم فِي الْآيَة الأولى علم بالكمال وَلَيْسَ وَرَاءه علم لِأَن مَعْنَاهُ بعد الَّذِي جَاءَك من الْعلم بِاللَّه وَصِفَاته وَبِأَن الْهدى هدى الله وَمَعْنَاهُ بِأَن دين الله الْإِسْلَام وَأَن الْقُرْآن كَلَام الله فَكَانَ لفظ (الَّذِي) أليق بِهِ من لفظ (مَا) لِأَنَّهُ فِي التَّعْرِيف أبلغ وَفِي الْوَصْف أقعد لِأَن (الَّذِي) تُعرِّفه صلته فَلَا يتنكر قطّ وتتقدمه أَسمَاء الْإِشَارَة نَحْو قَوْله ﴿أم من هَذَا الَّذِي هُوَ جند لكم﴾[الملك :٢٠] وَيلْزمهُ الْألف وَاللَّام ويثنى وَيجمع وَلَيْسَ لـ (ما) شَيْء من ذَلِك لِأَنَّهُ يتنكر مرّة ويتعرف أُخْرَى وَلَا يَقع وَصفا لأسماء الْإِشَارَة وَلَا تدخله الْألف وَاللَّام وَلَا يثنى وَلَا يجمع.

وَخص الثَّانِي بِـ (مَا) لِأَن الْمَعْنى من بعد مَا جَاءَك من الْعلم بِأَن قبْلَة الله هِيَ الْكَعْبَة وَذَلِكَ قَلِيل من كثير من الْعلم .وزيدت مَعَه (مِن) الَّتِي لابتداء الْغَايَة لِأَن تَقْدِيره من الْوَقْت الَّذِي جَاءَك فِيهِ الْعلم بالقبلة – وهو وقت معلوم – لِأَن الْقبْلَة الأولى نسخت بِهَذِهِ الْآيَة وَلَيْسَت الأولى مُؤَقَّتَة بِوَقْت.

وَقَالَ فِي سُورَة الرَّعْد﴿بعد مَا جَاءَك﴾ ّ[الآية :٣٧] فَعبر بِلَفْظ (مَا) وَلم يزدْ (من) لِأَن الْعلم هُنَا هُوَ الحكم الْعَرَبِيّ أَي الْقُرْآن فَكَانَ بَعْضًا من الأول وَلم يزدْ فِيهِ (من) لِأَنَّهُ غير مُؤَقّت .

وَقَرِيب من معنى الْقبْلَة مَا فِي آل عمرَان ﴿من بعد مَا جَاءَك من الْعلم﴾ ّ[الآية:٦١] فَهَذَا جَاءَ بِلَفْظ (مَا) وزيدت فِيهِ (من)." [١].لأنها نزلت فى وفد نصارى نجران ومجادلتهم بالباطل للنبى – صلى الله عليه وسلم– بعد إقامة الحجة عليهم ؛ لذلك رفضوا المباهلة لعلمهم بأنهم على باطل.

الموضع الرابع[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٤]

تشابه مع قوله تعالى:

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [فاطر] [٣].

موضع التشابه : حذف تاء التأنيث من الفعل كذب ، وكذلك حذف الباء من الزبر والكتاب فى موضع آل عمران والإثبات فى غيرها من المواضع.

التوجيه

أولا : آية سورة آل عمران مبنية على الإيجاز ومظاهر هذا الإيجاز هى:

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآنج ١ ص ٧٧.و لا يخفى أن الإيجاز يناسب الإيجاز فـ (ما) تناسب واق ، والإطناب يناسب الإطناب فـ (الذى) يناسب نصير. نقلا عن درة التنزيل.

٢- وَاقْرَأْ (فَقَدْ كُذِّبَ) بِالْبَاءِ فَقَطْ ... فِي آلِ عِمْرَانَ وَلا تَخْشَ الْغَلَطْ

٣- وكذلك قوله تعالى:﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر:٤] وقريب منه قوله تعالى : و﴿ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام :٣٤]

الفعل أول السورة ماض (كذبوك) وفى غيرها مضارع (يكذبوك)، الفعل جواب الشرط مبنى للمجهول (كُذِب) أى لم يذكر فاعله وحذفت منه تاء التأنيث وفى غيرها مبنى للمعلوم مثبتة به التاء ، حذف الباء من الزبر والكتاب وإثباتها فى غيرها ، الفعل (جاءوا) حذفت منه تاء التأنيث وفاعله ضمير متصل ولم يذكر مفعوله بينما فى فاطر (جاءتهم) أثبت التاء وذكر المفعول (هم) .

ثانيا : سورتا الأنعام وفاطر مكيتان تتحدثان عن تكذيب المشركين للنبى – صلى الله عليه وسلم – حيث كثر ورود مادة الكذب قبل موضع الأنعام وانظرلتوكيده فى الآية باللام وقد (ولقد) وانظر إلى التركيب القرآنى قبلها (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون) وفى فاطر (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) يتبين مدى الإيذاء والألم الذى تعرض له – صلى الله عليه وسلم – فجاء اللفظ بالتاء للدلالة على الكثرة .

وآية سورة آل عمران تتحدث عن اليهود وقولهم الكذب على الله تعالى . وإيذاء اليهود للنبى – صلى الله عليه وسلم – أقل من إيذاء المشركين له ومدته أقل فلم يؤنث الفعل لذلك .

الموضع الخامس[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠١]

١- وَيُونُسٍ فِيهَا (بِهِ) و(نَطْبَعُ) ... و(يَطْبَعُ اللهُ) فِي الاعْرَافِ اسْمَعُوا وَقَبْلَهَا اقْرَأْ (كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) ... وَاحْذِفْ (بِهِـ) مِنْهَا فَهَذَا سَهْلُ

. تشابه مع قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [يونس:٧٤].

موضع التشابه :إثبات (به) فى موضع سورة يونس وإضماره فى الأعراف.

التوجيه

إثبات (به) لأن هذا الموضع الثانى فجاءت تأكيدا للموضع قبله.

و لأن قبل هذا الموضع ورد قوله :﴿ وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بينما فى الأعراف ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فلم يرد الجار والمجرور أول القصة ولا آخرها كما ورد فى سورة يونس ، فالحديث فيها عن آيات الله فناسب (به).و ختمها بقوله (نطبع)لأن الحوار قبله وبعده بنون العظمة.

و مثل هذا يقال فى قوله تعالى: ﴿ من ءامن تبغونها عوجا﴾ [آل عمران:٩٩] حيث أضمر (به)لأن قبلها﴿ ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ لم يقل (كفر به) بخلاف موضع الأعراف.

الموضع السادس[1].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩]

تشابه مع قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦]

.

١- رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) تَقْرَاهُ ... فِي سُورَةِ الْحِجْرِ فَلا تَنْسَاهُ

موضع التشابه :إثبات الفاء قبل (بما) فى الحجر وحذفها فى الأعراف.

التوجيه

الفاء تربط ما بعدها بما قبلها، والنداء قطع لما قبله من الكلام فيمتنع معه الفاء إلا إذا كان بعده طلب أو سؤال ؛ فلما ورد النداء (رب) امتنع دخول الفاء فى موضع الحجر لأن ما بعده قسم أو سبب.

والباء فى هذين الموضعين تحتمل معنيين : الأول:السبب أى بسبب إغوائك لى ، و الثانى :القسم :أى أقسم بإغوائك لى .

"وَزَاد فِي هَذِه السُّورَة الْفَاء الَّتِي هِيَ لِلْعَطْف ليَكُون الثَّانِي مربوطا بِالْأولِ..... وهَذَا قسم (بما أغويتنى) عِنْد أَكْثَرهم بِدَلِيل مَا فِي ص وَخبر عِنْد بَعضهم." [١].

الموضع السابع[٢].

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٨]

تشابه مع قوله تعالى :

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الإسراء]

وقوله تعالى:﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [الإسراء].

١- البرهان فى توجيه متشابه القرآن ج ١ ص ١١٩.و كان الأولى أن يَرِد هذا الموضع فى باب الفاء لأنها هى الحرف الزائد.

٢- (بِهِ عَلَيْنَا) بَعْدَهُ (وَكِيلا) ... جَاءَ فِي الاسْرَا ثَانِيًا مَنْقُولا
وَقَبْلَهُ (لَكُمْ عَلَيْنَا) قُدِّمَا ... (بِهِ تَبِيــعًا) فَاقْرَهُ مُسَلِّمَا

موضع التشابه: خواتيم الآيات ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾،﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾،﴿ ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ وهو من إبدال لفظ بلفظ ، ومن التقديم والتأخير .

التوجيه

" إن الآية الأولى بعد قوله: (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) وهو خطاب لمن ينجيهم من ضرّ البحر ويُسلمهم إلى البرّ ، ويكفرون بما أنعم به عليهم من النجاة، فقال: الذي خفتموه من عذاب الله تعالى في البحر لا تأمنوا مثله في البر، من الخسف وإرسال الرياح الحاملة للحصباء، ثم لا تجدوا مَن يقوم مقامكم ويعصمكم مما يريد إنزاله بكم، وهذا (الوكيل) أول ما يطلبه مَن يشرف على هلكةٍ لينقله إلى نجاة.

وأما قوله: (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) يعنى في البحر، فيُغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا مَن يتبعنا إذا أهلكناكم بمطالبةٍ بدمائكم، أو بإنكار ما أنزلناه بكم، فالذي يلجأ إليه إذا لم يغن الوكيل في دفع الضرر ووقوع الهلَكة مَن يتبع ذلك بإنكار أوانتصار (التبيع)، وهذا أيضاً مما لا تجدونه.

وكذلك قوله عز وجل: (ولئن شئنا لَنذهبنّ بالذي أوحينا إليك)

أي: لأنسيناكه ولَمحونا من القلوب والكتب ذكره، ثم لا تجد مَن يتوكّل لك بردّ شيء منه إليك، لكني دبّرتك بالرحمة لك، فأوليتك من النعم والألطاف ما ثبتُّك به على الإيمان، وسلمت به من الركون إلى ما دعاك إليه أهل الشرك ." [1].فى الآية الأخيرة تقديم (لك) لأن قبله (إليك) ، وأتبعه (به) لأن الحديث عن القرآن الكريم.

١- درة التنزيل ج ١ ص ٨٦٧.الموضع الأول لم يذكره الإمام علم الدين السخاوى فى منظومته ، لكن ذكرته هنا لارتباط الآيتين معا وللتشابه بينهما .

الموضع الثامن [١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه: ١٠].

. تشابه مع قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [النمل] ، وقوله تعالى :

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القصص] .

موضع التشابه: اختلاف اللفظ بين (خبر) و(قبس).

التوجيه

عندما قدم (ءانس) و(ءانست) تناسب معه الخبر فهو من الإيناس – ضد الوحشة – ولا يكون إلا لوجود البشر فيتحقق عندهم الخبر ، وعندما قدم (رأى نارا) تناسب معها القبس لأنه قطعة من النار.

و اختلاف الألفاظ فى هذه المواضع ربما لأنه قالها أكثر من مرة فعندما كان بعيدا عنها ذكر القبس لاحتياجه إلى الدفء أكثر(موضع :طه) فلما اقترب منها زاد إيناسه فذكر الخبر(موضع:القصص) كلاهما بالرجاء بدليل قوله :لعلى ، فلما اقترب أكثرتيقن أكثر فقال ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾ وقد جاءه نعم الخبر[٢].

١- هذا من زيادات بعض النسخ: آتِيْكُمْ بِقَبَسٍ) فِي طَه ... (بِخَبَرٍ) جَاءَكَ فِي سِوَاهَا

٢- هذا الموضع من زيادات بعض النسخ حيث لم يرد فى التوضيحات الجلية ، وليس الاختلاف هنا فى حرف الباء فكان الأولى أن يرد فى باب الخاء أو فى باب القاف.

الموضع التاسع[١].

.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد: ٤٣]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [الإسراء] . تشابه مع قوله تعالى :

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)﴾[العنكبوت].

موضع التشابه :تأخير شهيدا فى سورة العنكبوت وتقديمه فى غيرها.

التوجيه

أولا:"جَاء فِي الرَّعْد وَسُبْحَان – الإسراء–على الأَصْل وَفِي العنكبوت أخر (شَهِيدا) لِأَنَّهُ لما وَصفه بقوله يُعلم مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض ً طَال فَلم يجز الْفَصْل بِهِ"[٢]. والأصل هنا تأخير الجار والمجرور.

ثانيا: فى سورة العنكبوت ورد قبل هذا الموضع حديث عن أهل الكتاب وهم أعلم الناس بأن محمد – صلى الله عليه وسلم – نبى مرسل ؛ فلذلك قدم (بينى وبينكم) وذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)﴾، بينما فى غيره من المواضع الحديث عن المشركين ونفيهم للرسالة .

ثالثا: ورد قبل موضع العنكبوت تقديم الجار والمجرور (إليك) ،(عليه)، (عليك) على المفعول به (الكتاب)،(ءايات) وهى ضمائر تدل على الخطاب والغيبة ، والمقصود بها النبى – صلى الله عليه وسلم – فناسب هنا تقديم ضمير المتكلم الدال عليه – صلى الله عليه وسلم–.

١– وهذا الموضع من الزيادات: (بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا) وَرَدَا ... فِي الْعَنْكَبُوتِ قَدِّمُوهُ مُفْرَدَا

٢– البرهان فى توجيه متشابه القرآنج ١ ص١٦٧. وهذا الموضع أيضا من زيادات بعض النسخ حيث لم يرد فى التوضيحات الجلية.

الموضع العاشر[١].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [غافر: ١٧]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجاثية]

تشابه مع قوله تعالى:

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١)﴾[إبراهيم].

موضع التشابه:إضمار الباء فى موضع سورة إبراهيم وإثباته فى غيرها.

التوجيه

موضع سورة إبراهيم ورد تعقيبا على عذاب أهل النار بعد دخولهم النار ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)﴾ ؛ فتعدى الفعل بنفسه ، أما موضعا غافر والجاثية فهما إنذار للناس فتعدى الفعل بالباء لأنها تتضمن معنى السببية.

و ليس منه قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾[الشورى]

ولا قوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر] لأنه كما ذكر الإمام السخاوى :"لا يحسن فيه الإلغاء والإبقاء" أى لا يصلح فيه حذف الباء وإبقاؤها وهذه قاعدة هامة توضح المتشابه فى هذه المواضع.

كما أنه ليس منه قوله تعالى :﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨١] ، وما شابهها لأن الفعل (توفى) يتعدى بنفسه أى بغير حرف الجر وكذا غيره من المواضع.

١- وَاقْرَأْ (بِمَا) مِنْ بَعْدِ (كُلِّ نَفْسٍ) ... و(كَسَبَتْ) بَعْدُ بِغَيْرِ لُبْسِ
فِي مَوْضِعٍ تُشْكِلُ فِيهِ الْبَاءُ ... فَيَحْسُنُ الإِلْقَاءُ وَالإِبْقَاءُ
جَاءَتْ عَلَى مَا قُلْتُهُ مَوْضُوعَةْ ... فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِ وَالشَّرِيعَةْ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الخامس الجزء الثاني ٢٠٢٠م

الموضع الحادى عشر[١].

قال تعالى :﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)﴾ [الأنعام:٥]. تشابه مع قوله تعالى:﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ ﴾ [الشعراء: ٦]

موضع التشابه :

١- إثبات﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾فى سورة الأنعام وحذفه من سورة الشعراء

٢ – إبدال سوف بالسين.

التوجيه

"إن الآية الأولى قد وفي المعنى فيها حقه من اللفظ ، لأنها سابقة للثانية وإن كانتا مكيتين فأشبعت ألفاظ الأولى مستوفية لمعناها.

وفي الآية الثانية اعتمد على الاختصار لما سبق في الأولى من البيان اقتصر على قوله (كذبوا) وهذا اللفظ إذا أطلق كان لمن كذب بالحق، ألا ترى قوله عز وجل ﴿ويل يومئذ للمكذبين ﴾[المرسلات] .

ولما بُنيت هذه الثانية على الاختصار والاكتفاء بالقليل من الكثير جعل فيها بدل سوف السين وحدها، وهي مؤدية معناها." [٢]. وسورة الشعراء يناسبها الإيجاز لإيجازها بالنسبة لسورة الأنعام .

هذا وأرجو من الله المغفرة والرحمة والرضوان والقبول وأن يعيننى على إتمام بقية المواضع .

وقد تم الانتهاء من هذا العمل ليلة الإثنين ٢٩ من صفر ١٤٤١هـ الموافق ٢٨ من أكتوبر ٢٠١٩م

وأهدى هذا العمل لكل مشايخنا وكل علمائنا وكل من علمنى حرفا ولأصحاب الحقوق على ولكل حافظ لكتاب الله تعالى ولكل طالب علم ولكل من ساهم فى إخراج هذا العمل ولا تنسونا من صالح دعائكم.

١- (بالحق لما جاءهم) يتلوه (فسوف) فى الأنعام لا تنسوه

٢- درة التنزيل ج٢ ص٤٨٠.

المصـــــادر والمـــراجع

أولا :القـــــرآن الكريـــــم.

ثانيا : كتب السير والتراجم :

١ – **طبقات المفسرين العشرين.** المؤلف: الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي تحقيق : علي محمد عمر الناشر :مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة :الأولى، ١٣٩٦ هـ

٢ – **طبقات المفسرين** . المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي طبعة دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٣ م

٣ – **البداية والنهاية لابن كثير** مكتبة المعارف بيروت ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م

٤ – **معجم الأدباء** المؤلف :ياقوت الحموى . تحقيق :د / إحسان عباس الناشر : دار الغرب الإسلامى – بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٣م

٥ – **سير أعلام النبلاء** المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى رتبه : حسان عبد المنان الناشر: بيت الأفكار الدولية – لبنان ٢٠٠٤م

٦ – **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧

٧ – **طبقات القراء** المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق : أحمد خان الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧

٨ – **طبقات الشافعية الكبرى** الإمام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى تحقيق : محمود محمد الطناحى ، وعبد الفتاح محمد الحلو الناشر: مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م

٩ – **حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة** الحافظ جلال الدين السيوطى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
١٠ – **الأعلام** المؤلف : خير الدين الزركلى الناشر : دار العلم للملايين بيروت الطبعة الخامسة عشرة٢٠٠٢
١١ – **طبقات الشافعية** المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة . المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ
١٢– **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** المؤلف :أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان طبعة : صادر بيروت تحقيق : د إحسان عباس

ثالثا :كتب علوم القرآن :

١ – **البرهان في علوم القرآن** المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى: ٧٩٤هـ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ مالناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
٢– **الإتقان فى علوم القرآن** الإمام جلال الدين السيوطى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية.١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م
٣– **مناهل العرفان فى علوم القرآن** المؤلف : الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى الناشر : دار الكتاب العربى الطبعة الأول ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م
٤ – **أسباب نزول القرآن** المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٥ – **بشير اليسر شرح ناظمة الزهر فى علم الفواصل** المؤلف :فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى طبع على نفقة قطاع المعاهد لأزهرية.١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

رابعا: كتب التفسير:

١ – : **جامع البيان في تأويل القرآن** المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ – ٣١٠ هـ] المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٢ – **النكت والعيون –تفسير الماوردي**– المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٣ – **غرائب التفسير وعجائب التأويل** محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت

٤ – **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٥ – **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٦ – **الجامع لأحكام القرآن** المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٧ – **البحر المحيط في التفسير** المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٨ – **تفسير القرآن العظيم** المؤلف : الحافظ أبو الفداء عماد الدين بن كثير الدمشقى الناشر : دار الخير بيروت الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م تحقيق : لجنة من الأساتذة المختصين تقديم : الدكتور وهبة الزحيلى

٩ – **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

١٠ – **تفسير الجلالين** للإمامين الجليلين العلامة جلال الدين بن أحمد المحلى والشيخ البحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

١١– **روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى.** المؤلف : محمود الألوسى. الناشر : دار إحياء التراث العربى.

١٢ – **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»** المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

خامسا: المعاجم :

١ – **المفردات في غريب القرآن** المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

٢ – **القاموس المحيط** المؤلف :مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

٣ – **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** المؤلف :محمد فؤاد عبد الباقى طبعة : دار الحديث القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ

سادسا : كتب المتشابه اللفظى :

١ – **درة التنزيل وغرة التأويل** المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي تحقيق الأستاذ الدكتور سامى عبد الفتاح هلال الناشر : مكتبة التقوى الحديثة

٢ – **درة التنزيل وغرة التأويل** المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٣ – **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا . مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض دار النشر: دار الفضيلة

٤ – **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل** المؤلف: الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ٦٢٧ . ٧٠٨ هـ دار النشر: دار الكتب العلمية . بيروت

٥– **كشف المعانى فى المتشابه من المثانى** المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين المتوفى: ٧٣٣هـ تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء . المنصورة الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠

٦ – **بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز** المؤلف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى المتوفى: ٨١٧هـ المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة١٤١٦هـ/١٩٩٦م

٧ – **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن** المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) المحقق: محمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

٨ – **التعبير القرآنى للدكتور فاضل صالح السمرائى ص ١٨٨،١٨٩** ط دار عمار ١٤٢٧/٢٠٠٦

٩ – **التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية فى متشابه الآيات القرآنية** تأليف : محمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل الناشر : المكتبة المحمودية التجارية

١٠ – **هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب** المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي المتوفى: ٦٤٣هـ حققه وشرحه: عبد القادر الخطيب الحسني الناشر: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دار الفكر

سابعا : الأبحاث والرسائل العلمية :

١– **بحث بعنوان :" تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن " لأبى شامة .** دراسة وتحقيق د/ أحمد بن سليمان بن صالح الخضير الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم . نشر فى مجلة معهد الإمام الشاطبى العدد الثانى والعشرون ذو الحجة ١٤٣٧هـ.

٢ – **رسالة ماجستير بعنوان :" المتشابه اللفظى فى القرآن وتوجيهه "** مقدمة من الطالب محمد بن راشد البركة المملكة العربية السعودية جامعة الإمام محمد بن سعود كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه .

٣– **الإمام علم الدين السخاوى وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن** مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر فى العلوم الإسلامية – تخصص : التفسير وعلوم القرآن – للطالب مختار قديرى – جامعة الشهيد حمه لخضر قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية – الجزائر العام الجامعى١٤٣٦هـ ص

٤ – **المتشابه اللفظى فى القرآن الكريم وأسراره البلاغية** رسالة دكتوراه فى جامعة أم القرى كلية اللغة العربية قسم البلاغة لصالح عبدالله محمد الشثرى..

ثامنا :كتب النحو والصرف :

١ – **الكتاب** المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٢ – **شذا العرف فى فن الصرف** المؤلف : أحمد الحملاوى طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٥هـ/١٤٢٦هـ – ٢٠٠٤م /٢٠٠٥م

٣ – **بحث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية** المؤلف: مصطفى أحمد النماس الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد٥٣

تاسعا : كتب القراءات

١ – **النشر في القراءات العشر** المؤلف : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (المتوفى : ٨٣٣ هـ) المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) الناشر : المطبعة التجارية الكبرى

٢ – **تقريب النشر** المؤلف : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري المحقق :د / إبراهيم عطوة عوض الناشر: دار الحديث القاهرة

٣ – **المهذب فى القراءات العشر** المؤلف : الدكتور محمد محمد محمد سالم محيسن طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية دار السعادة للطباعة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م